كلمات في الصفات
صفات الله عز وجل كما وردت
في القرآن والسنة بفهم الصحابة والتابعين

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات في الصفات

صفات الله عز وجل كما وردت في القرآن والسنة بفهم الصحابة والتابعين

بقلم
د. أمير علي الحداد

الكويت
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

المقدمة

الحمد لله فاطر السماوات والأرض

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل.

الحمد الذي خلق آدم بيديه

الحمد لله الذي كلم موسى وقال له:

﴿**إنني معكما أسمع وأرى**﴾.

الحمد لله حتى يرضى والحمد لله بعد الرضا

الحمد لله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله رسول الله الذي ما نطق عن الهوى وإنما بيَّن فهدى... وأرشد فزكَّى... ووصف لنا ربنا.. بأنه على العرش استوى، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ويباهي بعباده يوم عرفة ملائكة السماء.

وقال لصحابته: «**إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم**» (متفق عليه).

وسأل الجارية: «**أين الله؟**» فقالت: «في السماء»...

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة تفي بحقه علينا..

أما بعد:

بين يديك ورقات فيها أشرف علم على الإطلاق... ذلك أنه يتعلق برب العالمين سبحانه وتعالى... اجتهد كاتب هذه الكلمات أن يبين لعامة الناس ما يجب عليهم تعلمه من قواعد في إثبات صفات الله عز وجل... هذا العلم الذي اختطفه الفلاسفة وأهل الكلام فحجبوه عن عامة الناس بألفاظهم الفلسفية وآرائهم الضبابية... حتى أحجم المسلمون عن معرفة ما يجب عليهم معرفته من صفات ربهم سبحانه وتعالى... ظناً منهم أن هذا الأمر من الصعوبة والتعقيد بحيث لا يتعلمه إلا أهل الاختصاص من الفلاسفة وعلماء الكلام!!!

إن تعلُّمَ صفات الله عز وجل واجب على كل مسلم... عربي كان أو أعجمي... الكل يجب عليه أن يعرف صفات رب العالمين التي ذكرها الله في كتابه وأوحى بها إلى رسوله ﷺ فبيَّنها في سنته...

كان الرسول ﷺ يخبر أصحابه أن رب العالمين (يضحك)... وأنه سبحانه وتعالى (يعجب) وأنه عز وجل (يغير) (بسكون الياء) وأنه (لا أصبر على الأذى منه) سبحانه وتعالى... والصحابة جميعهم يسمعون هذا الكلام... ويفهمونه... ويؤمنون به... ويتفاعلون معه بطريقة صحيحة... فكانت عقيدتهم بالله عز وجل أصح ما يمكن أن يكون عليه بشر على وجه الأرض...

وهكذا ينبغي أن تكون عقيدة كل مسلم في كل زمان ومكان... عقيدة صحيحة بالله عز وجل يحقق من خلالها الركن الأول من أركان الإيمان وهو (الإيمان بالله) عز وجل.

لقد اجتهد الكاتب في بيان القواعد الأساسية لتحقيق الإيمان بصفات الله عز وجل... من خلال حوارات بسيطة يومية هادفة... وربما تكررت القاعدة أكثر من مرة... والهدف بيان العقيدة الصحيحة في صفات الله عز وجل لعامة المسلمين.

إنه جهد متواضع في علم عظيم بل أشرف العلوم... فاللهَ أسأل أن يتقبّل هذا العمل ويبارك فيه وينفع به من ساهم بنشره... وأن يغفر ما فيه من خلل ، وإني سائلٌ كل من يطلع عليه أن يدعوَ لكاتبه بالتوفيق والثبات على الحق في الدنيا والمغفرة والرحمة في الآخرة... وإن وجد فيه ما يلزم التقويم والتعديل فلا يبخل بنصح كاتبه وإرشاده إلى مواضع القصور... اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك وانفع به كل من ينشره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه
د. أمير علي الحداد
الكويت

قواعد في الأسماء والصفات

– لا يختلف عالمان على أن أشرف العلوم هو ما تعلق بالله عز وجل، ولذلك كان علم التوحيد أشرف العلوم... وأعظم جزء فيه... أسماء الله وصفاته... هذا العلم من دخله كان في جنة الدنيا... ومن تمكن من قلبه كان في روضة مقدسة... بهذا العلم يتعرف العبد على ربه... بأسمائه وصفاته... من أخلص فيه أورثه الله طمأنينة في الدنيا... وأماناً في البرزخ... ونجاة يوم القيامة...

– أسماء الله الحسنى... التي في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كل اسم منها يحمل صفة لله عز وجل.. بمعنى أن كل اسم من الأسماء الحسنى يشتق منه صفة لله عز وجل... فهو سبحانه (السميع)... فمن صفاته السمع... سمعٌ يليق بجلاله... يسمع كل شيء... وعلى سبيل المثال... يقال (يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء)... فهو يسمع كل شيء... وسمعه يليق به سبحانه... لا يشبه ولا يقاس بسمع المخلوقات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وكذلك من أسمائه (الرحيم)... فمن صفاته الرحمة... فهو سبحانه يتصف بالرحمة... رحمة تليق به سبحانه... لا تشبه رحمة المخلوقين... لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾... ومن أسمائه (القوي).. فيشتق من ذلك أنه سبحانه يتصف بالقوة... قوة تليق به سبحانه لا تشبه قوة المخلوقين... وهكذا في كل اسم من الأسماء الحسنى... نشتق صفة لله عز وجل.. أما صفات الله عز وجل، فلا نشتق منها أسماء له... مثلاً من صفات الله عز

وجل... (أنه يحيي ويميت)، فلا نشتق من ذلك اسم (المحيي) ولا (المميت) لله عز وجل... ومن صفات الله سبحانه أنه (يعز من يشاء ويذل من يشاء)... فلا نشتق من ذلك اسماً لله بأنه (المعز) أو (المذل)... ومن صفاته سبحانه أنه (بديع السماوات والأرض)... (أي أبدع صنعهما)... فلا نشتق من هذه الصفة اسم (المبدع) لله عز وجل... وهكذا فالقاعدة الأولى...

(كل اسم صحيح ثابت من الأسماء الحسنى يدل على صفة لله عز وجل وصفات الله عز وجل لا نشتق منها أسماء لله عز وجل)...

- جميل... والقاعدة الثانية؟

بدأ أهل الديوان بالتوافد...

- لا أريدك أن تأخذ الأمر على أن هذه القواعد لها ترتيب معيَّن القاعدة الثانية بعد الأولى... والثالثة بعد الثانية... ولكنها قواعد يجب الإلتزام بها... حتى لا يقع المرء في محظور في هذا الباب العظيم من أبواب العقيدة...

ابتسم وهز رأسه موافقاً...

- نعم أعلم ذلك... ولكن قصدت أن نكمل هذه القواعد..

تابعت حديثي...

- ومن القواعد الأساسية في صفات الله عز وجل أن نؤمن بالصفة كما جاءت... فلا نسلب الله صفة نسبها لنفسه سبحانه وتعالى... ولا ننسب صفة لله لم ينسبها هو سبحانه لنفسه... ونفهم الآيات التي وردت فيها صفات لله عز وجل... كما فهمها أصحاب رسول الله ﷺ ... يكفينا ما

كفاهم... وقد كانوا أعلم بالله منا... واتقى لله منا... وكان معهم رسول الله ﷺ يتنزّل عليه الوحي من السماء ليعلّمهم ما يحتاجون معرفَته...

- كلام جميل ومنطقي وسليم... وهل خالف في ذلك أحد؟!

- نعم... كثير من الطوائف... ينفون عن الله صفات ذكرها لنفسه من باب تنزيه الله عز وجل... والله عز وجل يقول:

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ١٤٠).

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (النحل).

وذلك أنهم استخدموا عقولهم... وحكّموا فهمهم في صفات الله... فلما لم يستطيعوا فهمها... نفوها... ولو أنهم قالوا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾... لقبلوا الحق... واتبعوه..

وهنا ينبغي الانتباه إلى قاعدة... بل بديهية... وهي أن تشابه الألفاظ لا يقتضي اتحاد الصفات... فأنت تصف الأسد أنه قوي... ورجلاً أنه قوي... ولكن قوة الأسد... تختلف عن قوة الرجل... وتصف الغزال أنه سريع ورجلاً أنه سريع... وفرق كبير بينهما... وتصف الجمل أنَّ له وجهاً... وتصف الطفل أن له وجهاً... وشتان بين الوجهين... ولله المثل الأعلى... صفات الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾... لا تقاس على صفات المخلوقين... كما أن ذات الله لا تقاس على ذوات الخلق... كذلك صفاته سبحانه... وإن اتحدت الألفاظ... بل الله عز وجل وصف بعض مخلوقاته بألفاظ هي ذات ألفاظ الأسماء الحسنى... مثلاً يصف الله عز وجل عرش بلقيس فيقول:

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ (النمل).

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ (التوبة).

﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ (المؤمنون).

وشتان بين عظمة عرش بلقيس وبين عظمة عرش الله!! وكلها مخلوقة.. بل ومن أسمائه الحسنى سبحانه (العظيم)... ومن صفاته (العظمة).. ولكن (عظمة الله)... تليق به سبحانه وليست كعظمة المخلوقين.. والفرق بين الصفة والصفة... كالفرق بين الذات والذات.. تعالى الله سبحانه علواً كبيراً...

كنت أحدث صاحبي بحماس... وجدية... ولم ألاحظ توافد معظم أفراد الديوان...

- أراك تأخذ الموضوع بجدية...

قالها مبتسماً...

- نعم... قضية الأسماء والصفات من الأمور التي أستمتع بتعلمها وتعليمها... بل هي القضية الأولى التي تدور حولها كافة القضايا الأخرى في العقيدة... والتي أرجو أن تكون سبب نجاتي عند لقاء ربي.

قواعد في صفات الله (٢)

كنا في طريق عودتنا إلى منازلنا مشياً... لقرب المسافة... فقد كان الديوان في الجهة الأخرى من الحي الذي نسكنه...

- لنكمل حديثنا عن القواعد في صفات الله عز وجل...

- أين كنا قبل انقطاع حديثنا؟!

- ذكرت أن صفات الله عز وجل تليق به سبحانه ولا تشبه شيئاً من صفات المخلوقين، وإن اتحد اللفظ أحياناً... فـ(العليم) في حق الله ليس كـ(العليم) في حق البشر... و(العظيم) في حق الله ليس كـ(العظيم) في حق المخلوقات... وأيضاً ذكرت أن أسماء الله تدل على صفات لله سبحانه... فيمكن اشتقاق صفة من كل اسم من الأسماء الحسنى...

أما صفات الله فلا يشتق منها أسماء لله عز وجل، مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ (الحج: ١٤)

أو قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ (البقرة: ٢٥٣).

لا نشتق من هذه الصفة اسم (المريد) لله عز وجل.

أعجبني فهم صاحبي وحفظه للموضوع...

- أراك حفظت الموضوع من المرة الأولى..

- نعم... فهو موضوع أثار اهتمامي... وكما قلت... ليس هناك أشرف ولا أقدس من أن يتعلم المرء أسماء الله وصفاته... ويتعرف على ربه بطريقة

صحيحة... فيعبده على بيّنة... ويدعوه على بصيرة... ويملأ قلبه باليقين تجاه الله عز وجل...

- أحسنت يا (أبا فهد)... لنكمل حديثنا حتى نبلغ منازلنا...

- جميع صفات الله عز وجل لا يشركهُ فيها أحد ولا يشبهه فيها شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

والحديث عن صفات الله سبحانه مثل الحديث عن ذات الله عز وجل.. تنزيهاً وتقديساً وإيماناً ويقيناً... ولا يحتاج المرء إلى علم الكلام ولا الفلسفة ولا المنطق ليعرف صفات الله كما يريد الله... ويؤمن بهذه الصفات كما يحب الله عز وجل... فقد أُنزل القرآن على رسول الله ﷺ... وكان يتلوه على صحابته... وأغلبهم (أميّ) لا يقرأ ولا يكتب... وإنما يسمع... ويفهم... ويؤمن... دون حاجة إلى فلسفة المتكلمين... ولا كلام المتفلسفين... فكان يقرأ عليهم ﷺ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (طه).

ولم يسأله أحد عن المراد بهذه الآية... ولا عن معناها... لأنهم فهموها... ولو كانت بحاجة إلى بيان.. لفعل ذلك الرسول ﷺ... لأن من مهماته... أن يتلو.. ويعلّم.. ويبيّن... ﷺ... ففهم الجميع مراد الله وآمنوا بما أنزل من عند الله... وبعد عهد الصحابة... جاء من أراد أن يغيّر مراد الله... ويتدخل في هدي رسول الله ﷺ أجاب عليهم الإمام مالك بن أنس بقوله: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب»... وكان رضي الله عنه يطرد عن مجلسه من يتحدث عن صفات الله عز وجل بهواه...

استوقفني صاحبي...

– هل نستطيع أن نطبق قول الإمام مالك على جميع صفات الله عز وجل؟

– نعم... في جميع الصفات الثابتة في القرآن أو السنة الصحيحة... نقول: (الصفة معلومة والكيفية مجهولة والسؤال عنها بدعة والإيمان بها واجب)... مثلاً... صفة (مجيء الله عز وجل يوم القيامة)... نقول (المجيء معلوم والكيفية مجهولة... والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب)... وهكذا في جميع الصفات.. لا نقول (كيف؟)... (كيف استوى على العرش؟).. (كيف ينزل ربنا كل ليلة؟) (كيف يكون لله يد؟).. (كيف يسمع ربنا؟!) (كيف يرى ربنا؟) (كيف يكون لله وجه؟).. (كيف يحب ربنا؟) (كيف يغضب ربنا؟)... وهكذا... لا تسأل (كيف) في الصفات تسلم!!

– قاعدة جميلة... ومنطقية... فقد أمر الله الجميع أن يؤمنوا بما أنزل في كتابه... ولا شك أن في الناس من لا يعرف شيئاً عن الفلسفة... ولا عن علم الكلام... فلا يمكن أن تتوقف معرفة صفات الله عز وجل على العلماء والمتخصصين... وماذا بعدُ من قواعد؟

– من الأمور التي يجب أن نراعيها في صفات الله عز وجل أن جميع صفاته سبحانه توقيفية... بمعنى أنه لا مجال للاجتهاد... وإعمال العقول في معرفة صفات الله عز وجل... بكل بساطة... (ما ثبت في الكتاب والسنة من صفات الله نؤمن به... وما لم يثبت لا نقول به)... فلا نصف الله إلا بما وصف به نفسه... ولا ننفي عنه سبحانه صفة وصف بها نفسه... ومن نحن حتى ننسب إلى الله صفة أو ننفي عنه صفة سبحانه وتعالى!!!

معتمدنا في صفات الله عز وجل إنما هو الاتباع نَصِف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ولا نتعدى ذلك ولا نتجاوزه ولا نتأوله ولا نفسره ونعلم أن ما قال الله ورسوله حق وصدق ولا نشك فيه ولا نرتاب. ونقول كما قال سلفنا الصالح وأئمتنا المقتدى بهم آمنا بالله وما جاء عن الله على مراد الله وآمنا برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، بذلك أوصانا الله تعالى في كتابه وأوصانا رسول الله ﷺ في سنته وأوصانا به سلفنا رضي الله عنهم.

ولم يسأل الصحابة النبي ﷺ عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول فنحن نؤمن بذلك ونصدق به كما آمنوا وصدقوا فإن قال لنا أحدهم: (يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أي شيء من صفات الله) قلنا له أنت لا تلزمنا نحن فيما تدعيه وإنما تلزم قائل ذلك وهو رسول الله ﷺ، فأنت معترض على النبي ﷺ كاذب عليه متقدم بين يديه، فكما أنا نثبت له ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذلك نثبت له ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات ونعتقد تنزهه وتقدسه عن مماثلة المخلوقات:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

وقد نزّه الله تعالى نفسه في كتابه كما قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم).

قواعد في صفات الله عزوجل (٣)

تابعت حديثي مع صاحبي ونحن في طريق عودتنا... وعندما بلغنا نقطة افتراقنا قررنا السير مرة أخرى في محيط حارتنا... لنكمل حوارنا..

- ومما ينبغي الإلتزام به في صفات الله عز وجل أنها توقيفية فلا ينبغي لعبد أن يتجرأ على الله بأن يصفه بما لم يصف به نفسه أو أن ينفي عنه صفة وصف بها نفسه سبحانه وتعالى...

قاطعني...

- هل يجوز أن تقول (وصف الله بها نفسه)... أعني لفظ (النفس)؟!

- نعم... فقد قال تبارك وتعالى...

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾ (طه)..

وقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ (المائدة).

وهكذا نثبت لله كل لفظ أثبته لنفسه سبحانه... دون أن نخوض في نقاش فلسفي... (كيف؟ ولماذا؟ وهذا يقتضي ذاك...) إلخ، هذه الطريقة التي اتبعها أهل الكلام فضلّوا وأضلوا...

- تابع القواعد التي بدأناها...

- نعم... ونؤمن أن جميع صفات الله ملازمة لـذات الله.. لم يطرأ عليها شيء.. ولم يتغير منها شيء.. ولا يتغير منها شيء سبحانه وتعالى.. فهو سبحانه (الخلاق العليم)... حتى قبل أن يخلق الخلق... وعندما خلق... ظهرت نتيجة هذه الصفة لله عز وجل... وكذلك هو (الغفور الرحيم)... وعندما أذنب آدم... واستغفر غفر له.. فظهر أثر هذه الصفة.. وإلا فإن الله كان (غفوراً) حتى قبل أن يغفر... وهكذا في جميع صفات الله... لا يطرأ عليها أي تغيير... لا زيادة ولا نقصاً... ولا كوناً بعد عدم...

- جميل...

- وننفي عن الله ما نفاه عن نفسه... سبحانه.. والنفي لكمال الصفة المقابلة... مثلاً... نقول.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ (النساء)، وذلك لكمال عدله سبحانه وتعالى... ونقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥﴾... وذلك لكمال علمه سبحانه وتعالى... ونقول إن الله خلق السماوات والأرض وما مسه من (لغوب)... ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ (ق)... وذلك لكمال قدرته وقوته سبحانه.. وهكذا في كل صفة ننفيها عن الله عز وجل إنما المراد إثبات كمال الصفة المضادة...

استدرك عليّ صاحبي...

- مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾... لكمال حياته وقيوميته...

أعجبني مثال صاحبي...

- أحسنت يا أبا فهد... نعم هذا هو المراد وذلك أن نفي الصفة ليس بمدح... وإنما إثبات الصفة هو المدح... له سبحانه وتعالى..

وذكر العلماء المنهج السليم للاعتقاد بصفات الله عز وجل...

قال الإمام - التابعي الفقيه - محمد بن مسلم الزهري رحمه الله:

(من الله الرسالة، وعلى الرسول ا لبلاغ، وعلينا التسليم).

وقال الإمام - سفيان بن عيينة رحمه الله:

(كل ما وصف الله تعالى به نفسه في القرآن فقراءته، تفسيره لا كيف، ولا مثل).

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقالوا: (أمرّوها كما جاءت بلا كيف).

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله:

(إياكم والبدع) قيل: وما البدع؟

قال: (أهل البدع هم الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان).

وسأله رجل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً» وأمر به أن يخرج من المجلس).

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

«لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً، تبارك الله تعالى رب العالمين».

ولما سئل – رحمه الله – عن صفة النزول، فقال: «ينزل بلا كيف».

وقال الإمام الحافظ نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله:

«من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسولهُ تشبيهاً».

– هذا المنهج يتفق مع أوامر الله عز وجل... فإننا مأمورون بالإيمان به سبحانه... وبأسمائه الحسنى وبصفاته العلى... وهذا أوثق عرى الإيمان... لذا وجب أن يكون الجميع قادراً على فهمه وتحقيقه... ولا قيمة لعبارات الفلاسفة ولا لمنهج أهل الكلام...

– نعم إن كل من يقرأ كتاب الله ينبغي أن يؤمن بكل ما جاء به من ذكر لصفات الله عز وجل... ومما ينبغي أن يعلم أن كل صفة كمال غير ملزمة للنقص في المخلوق فالله أولى بها... وكل نقص في المخلوق فالله أولى بالتنزيه عنها...

ويُعبَّر عن هذه القاعدة بأكثر من صيغة:

الأولى: أن يقال: إذا كانت نفس المخلوق وهي محدثة ناقصة متصفة بأنها حية عالمة قادرة سميعة بصيرة فإن الرب المعبود الأول والآخر والظاهر والباطن أولى بأن يكون حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً.

الثانية: أن يقال: إذا كان سلب الصفات مثل الحياة والعلم والسمع والبصر يعتبر نقصاً في المخلوق المحدث فلأَن يعتبر ذلك نقصاً في الخالق أولى.

الثالثة: أن يقال: إذا كانت الغفلة عيباً ونقصاً في المخلوق المربوب الناقص بذاته فلأن تكون نقصاً في حق الخالق المدبر الغني بذاته أولى.

الفرق بين الأسماء والصفات

– اطلعت منذ يومين على كتاب للأستاذ (العلوي) جمع فيه أسماء الله الحسنى وصفاته العلي... ومع أن الكتاب اعتمد على ما ثبت في القرآن والسنة... وبمنهج السلف الصالح... وجزى الله خيراً كاتبه على ما بذل من جهد... إلا أني وجدت نفسي... تائهاً بين الأسماء والصفات... ولم أستطع أن أكمل الكتاب..

– نعم لقد اطلعت على شيء من هذا الكتاب للأستاذ (علوي السقاف) عنوانه – صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة – واتفق معك أن الجَمع بين الأسماء والصفات ربما يصعّب الأمر على القارئ في باب الصفات... ينبغي جمع الصفات الفعلية وتمييزها عن صفات الذات... فالمؤلف مثلاً يذكر صفة القدرة وصفة القدم ثم اسم الله القدوس ثم القريب.. وذلك أنه اتخذ ترتيب الأحرف الأبجدية.. طريقة للترتيب...

– نعم... هذه كانت مشكلتي مع الكتاب..

– أظن أنه ينبغي على من يكتب في هذا الباب أن يبسط قضايا الأسماء والصفات... ويسهلها حتى تصل إلى جميع المسلمين لأنه باب عظيم يجب أن يتعلمه الجميع... ويمكن بيان ذلك... بآيات من كتاب الله عز وجل... مثلاً... لنأخذ آية الكرسي والتي يحفظها أغلب المسلمين...

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (البقرة).

فيذكر الأسماء والصفات التي وردت: أنه سبحانه ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ هما اسمان لله عز وجل ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ هذه صفة.. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾.. هذه صفة أخرى.. و﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ صفة ثالثة.. و﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ صفة رابعة... ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾ صفة أخرى، و﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ صفة للكرسي... وهو من مخلوقات الله... والكرسي موضع القدم... ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾... صفة لله عز وجل.. وهو ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ اسمان لله عز وجل...

قاطعني صاحبي...

- أظن أن أول صفة وردت في هذه الآية أنه سبحانه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

- نعم أحسنت وهي أعظم صفة لله سبحانه وتعالى... وهكذا نأخذ الآيات... لنبين أسماء الله وصفاته... حتى نفرق بين الاسم والصفة... ونؤمن بها جميعاً..

- وماذا عن سورة الإخلاص؟!

- أحسنت نعم مع أنها سورة قصيرة.. أربع آيات فقط إلا أنها تعدل ثلث القرآن..

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾.. وهذا اسم من الأسماء الحسنى (الأحد) ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ اسم آخر لله عز وجل.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ صفة لله عز وجل.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ صفة أخرى لله عز وجل.

فينتبه عامة المسلمين إلى تدبر آيات الصفات في كتاب الله عز وجل... ونعلمهم أن أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي)... عظمتها أنها جاءت بأسماء وصفات لله عز وجل... ولم يرد فيها شيء آخر... وكذلك سورة الإخلاص لم يرد فيها شيء إلا أسماء وصفات عظيمة لله عز وجل..

- وهل يجوز أن نقول أن القرآن بعضه أفضل من بعض؟

- أما من حيث المصدر فلا... القرآن كله من عند الله... ولكن من حيث المحتوى نعم... آيات التوحيد والأسماء والصفات... أعظم من آيات المواريث والطلاق والنكاح... والله سبحانه قال في كتابه:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ (البقرة)... وبيّن الرسول ﷺ... أن أعظم آية هي آية الكرسي.. كما في حديث أُبي بن كعب (أبي المنذر)... في صحيح مسلم... وكذلك الأحاديث في فضل سورة الإخلاص الأولى والثانية...

- وما هي سورة الإخلاص الثانية؟

- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾..

كنت وصاحب في طريق عودتنا من مكة إلى جدة بعد أداء العمرة في شهر محرم... حيث قل أعداد الناس بعد موسم الحج وكانت العمرة «سهلة جداً»... تابعت حديثي...

- وينبغي التنبيه إلى أن صفات الله لا نشتق منها أسماء لله عز وجل... فالصفات لا تدل على أسماء... أما أسماء الله فنثبت بها صفات لله عز وجل...

- اعتبرني من عوام الناس ووضح لي مرادك...

كان سائق سيارة الأجرة يستمع لحديثنا... ولم يخف استمتاعه بهذا الحوار..

- مثلاً عندما نقرأ قول الله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ (الجن)... فهذه صفات لله عز وجل.. ولا نشتق منها اسم المحيط والمحصي...

- أليس المحيط من أسماء الله الحسنى...

- بلى ولكن ليس بدليل هذه الآية ولكن بدليل آية أخرى هي...

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ (النساء).

- جميل... تابع حديثك...

- ومثلاً عندما نقرأ... ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾... بمعنى منور السماوات والأرض... لا نشتق اسم (النور) لله من هذه الآية... وكذلك.. ﴿بديع السماوات والأرض﴾ بمعنى مبدع... لا نشتق اسم (المبدع) لله عز وجل من هذه الآية... فليس من الأسماء الحسنى (المحصي - المبدع - النور)... ولكن عندما نقرأ وهو (السميع البصير) فمن أسمائه (السميع)

و(البصير)... ونثبت لله السمع الكامل الذي يليق بجلاله... وكذلك البصر الكامل الذي يليق به سبحانه وتعالى.

فيمكن أن نستدل بهذه الآية لإثبات صفة (السمع) وصفة (البصر) لله عز وجل.

- ينبغي على العبد أن يتدبر ما يقرأ من كتاب الله وخاصة ما يتعلق بأسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى... فيفهم المعنى... ويثبت الصفة... ويتعلم الأحكام المتعلقة.. وهذا ما يقصر فيه كثير من المسلمين أنهم يقرأون القرآن (يهذونه هذاً).. لأجل الانتهاء من ختمه...

- لذلك فإن صفات الله عز وجل في كتابه كثيرة جداً... وأسماؤه التي وردت في القرآن معدودة... فمن صفاته... ﴿لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ (آل عمران: ١٩٤، الرعد: ٣١، الزمر: ٢٠)، وأنه سبحانه.. ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ (البقرة: ١٤٢، ٢١٣، ٢٧٢)، (النور: ٤٦)، (القصص: ٥٦).. وأنه سبحانه ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ (البقرة: ٢٠٢، آل عمران: ١٩، ١٩٩، المائدة: ٤، الرعد: ٤١، إبراهيم: ٥١، النور: ٣٩، غافر: ١٧.. وهكذا... عندما نقرأ هذه الآيات ينبغي أن نفهم معناها ونؤمن بها.. ونثبتها لله عز وجل.. في جميع آيات الصفات مثل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ (طه)، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ (الفجر)، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ (المائدة: ٦٤)، ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ (الزمر).

الفرق بين الأسماء والصفات (٢)

– من تدبر كتاب الله – وكلنا مأمور أن يتدبر آيات الكتاب – كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ (ص).

أقول من التدبر أن يقف المرء عند الآيات التي يصف الله بها نفسه... فيعرف المعاني.. ويؤمن بها.. ويثبتها لله.. ويتعبد الله بها.. فيتعوذ من عذاب الله.. ويسأل رحمة الله.. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٥﴾ (الأنعام: ١٦٥) (الأعراف: ١٦٧)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ (هود)، ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ (البروج)، ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ (المائدة).

قاطعني إبراهيم...

– لنتوقف عند هذه الآية الأخيرة... فيها صفة لله واسمان من الأسماء الحسنى... تدلان على صفتين... أما الصفة فهي (شديد العقاب).. وأما الاسمان فهما (الغفور الرحيم) ويدلان على صفة المغفرة والرحمة لله.. ولو تدبرنا هذه الآية لعلمنا أن المغفرة والرحمة ملازمة دائمة لله.. وشدة العقاب طارئة محدودة من الله لمن يستحقها فقط.

– أحسنت يا إبراهيم...

كنت وصاحبي عصر الجمعة في طريقنا لعيادة أحد روّاد المسجد يرقد في المستشفى منذ يومين...

- وكذلك صفات الله التي فيها الانتقام والغضب واللعن والبطش... كلها خاصة لفئات بسبب أعمال ارتكبوها في معصية الله.. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (السجدة)، وقوله سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الزخرف)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الدخان).

- إذن ليس من أسماء الله (المنتقم)؟!

- كلا... بل هي صفة لله عز وجل فيمن يستحق ذلك...

- وهنا أذكرك بقاعدة في الأسماء والصفات تبين أن كل اسم من الأسماء الحسنى يدل على صفة لله... (الحي) من أسماء الله... يدل على صفة الحياة الكاملة التي تليق بالله سبحانه وتعالى... (السميع) من أسماء الله الحسنى يدل على صفة السمع الكامل الذي يليق بجلال الله عز وجل. (العليم) اسم لله عز وجل.. يدل على صفة العلم الكامل لله عز وجل.. وهكذا في جميع الأسماء الحسنى... وأما صفات الله فلا نشتق منها أسماء لله عز وجل... فمن صفاته سبحانه.

أنه (يفعل ما يريد)... فليس من أسمائه (المريد)... ومن صفاته سبحانه... أنه (نور السماوات والأرض)... وليس من أسمائه (النور)... وهكذا.

- ماذا عن صفة (الانتقام؟) لله عز وجل..

- كما ذكرت لك وردت هذه الصفة بصيغة (الجمع)... (السجدة: ٢٢) - (الزخرف: ٤١) - (الدخان: ١٦)... وفي سورة الزخرف (٥٥).. ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾... وفي سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾، وفي سورة الحجر: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾.. وفي سورة الروم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾... وفي سورة الزخرف: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾...

- وماذا عن أقوال المفسرين..

- إليك شيء مما ورد في كتب التفسير...

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ (الحجر).

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: هم قوم شعيب عليه السلام وهم مَدْين. وقيل أصحاب الأيكة فريق من قوم شعيب غير أهل مدين، فأهل مدين هم سكان الحاضرة وأصحاب الأيكة هم باديتهم، وكان شعيب رسولاً إليهم جميعاً.

والظالمون: المشركون.

والانتقام: العقوبة لأجل ذنب، مشتقة من النقم.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ (الزخرف).

تعقيب على جملة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ (الزخرف).

أي انتقمنا منهم عقب تصريحهم بتكذيب الرسل، وهذا تهديد بالانتقام من الذين شابهوهم في مقالهم، وهم كفار قريش.

- في قوله تعالى: ﴿**والله عزيز ذو انتقام**﴾... اسم من الأسماء الحسنى ﴿**العزيز**﴾.. وصفة لله عز وجل ﴿**ذو انتقام**﴾.. واقترنت هذه الصفة بهذا الاسم في ثلاثة مواضع من القرآن... (آل عمران: ٤)، (المائدة: ٩٥)، (إبراهيم: ٤٧)... ولا يخفى سبب الاقتران.

الفرق بين الأسماء والصفات (٣)

– كم يحتاج المرء من عامة الناس – أعني غير المتخصصين – أن يتعلم في باب الأسماء والصفات؟

– أعتقد أن كل مسلم يجب أن يتعلم القواعد العامة في باب الأسماء والصفات لله عز وجل.. حتى يحقق ركن (الإيمان بالله).. كما يحب ربنا ويرضى...

– هل يمكن أن تلخص لنا هذه القواعد... العامة.. دون الدخول في تفاصيل أهل الاختصاص...

– سأحاول إن شاء الله..

أولاً: بالنسبة لأسماء الله عز وجل نقول... جميعها أسماء حسنى وهي أسماء اختارها الله لنفسه عز وجل وأعلمنا جزءاً منها في كتابه وسنة نبيه ﷺ وهي أعلام... فلا يجوز أن ننفي اسماً اختاره الله لنفسه... ولا يجوز أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه فنؤلف أسماء لله عز وجل... فالقاعدة هنا أن جميع أسماء الله التي أراد منا معرفتها وردت في القرآن والسنة... وجميع الأسماء تدل على صفات الله عز وجل.

ثانياً: صفات الله ... وردت في القرآن والسنة وهي كل وصْفٍ وصف الله به نفسه... مثل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾... (الرحمن) اسم من الأسماء الحسنى... ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ صفة لله عز وجل... فنصف الله عز وجل بأنه (استوى على العرش).. استواء لا نعرف كيفيته

ولا يشبه استواء المخلوقين .. ومعنى الاستواء معلوم.. ونؤمن بهذه الصفة لله كما وردت دون محاولة تغيير معناها.

ثالثاً: كل اسم من الأسماء الحسنى يدل على صفة لله عز وجل... بمعنى أننا نشتق صفة لله من كل اسم من أسمائه الحسنى... ولكن لا نشتق اسماً لله من صفة من صفاته... مثلاً... من أسماء الله (الرحيم)... نقول هذا الاسم لله يدل على صفة الرحمة اللائقة بالله عز وجل... وفي المقابل... نقول: ﴿**وكلّم الله موسى تكليماً**﴾.. فمن صفات الله أنه يتكلم متى شاء بما شاء كلاماً يليق به سبحانه... فهذه صفة لا نشتق منها اسماً لله فليس من أسماء الله (المتكلم).

أظن أن هذه القواعد تكفي المسلم في تحقيق الإيمان بأسماء الله وصفاته... جميل.. هذه قواعد سهلة جميلة... يحتاج المرء فقط أن يطبقها ويعطي معها أمثلة...

- إذن لنطبقها ونعطي أمثلة..

كنا أربعة نفر اجتمعنا لشرب الشاي عند مؤذن مسجدنا بعد صلاة العصر... (أبو مشعل) ،(أبو عمر).

- تفضل يا أبا مشعل... اقرأ آية من المصحف... واستخرج صفة لله عز وجل واسماً من الأسماء الحسنى...

أخذ المصحف.. قرأ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ (الأنعام).

من صفات الله في هذه الآية: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ولا نقول إن من أسمائه الحسنى سبحانه (المبدع)... ومن صفاته أنه (لا صاحبة له ولا ولد).. ومن صفاته (أنه خلق كل شيء)... ومن أسمائه الحسنى (العليم).

- أحسنت (أبا مشعل)...

- أعتقد أن الموضوع أسهل مما يظنه كثير من الناس... وذلك أن معظم المتخصصين لا ينقلون هذا العلم بأسلوب يفهمه العامة...

- والآن الدور عليك يا (أبا عمر).

أخذ (أبو عمر) المصحف... ليقرأ... ثم غيّر رأيه...

- سأقرأ من حفظي..

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ (الحشر).

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾.. صفة الله عز وجل..

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ اسم من الأسماء الحسنى يدل على سعة رحمة الله عز وجل.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ اسم من الأسماء الحسنى يدل على كثرة رحمة الله عز وجل.

- ممتاز....

- والآن الدور على شيخنا... (أبي إبراهيم).

كنا ننتظر أن يقرأ آية لا نحفظها... لأنه حافظ لكتاب الله... ونحن نحفظ أجزاء فقط!!! بدأ يقرأ...

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص).

(الأحد) اسم من أسماء الله ا لحسنى...

(الصمد) اسم من أسماء الله الحسنى...

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ صفة لله عز وجل تنفي عنه الولد والوالد... لإثبات وحدانيته وأنه هو (الأول).. فلا شيء قبله وهو (الآخر).. فلا شيء بعده... وعندما ننفي صفة عن الله إنما القصد إثبات ضدها... فإذا قلنا ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾... ننفي الظلم عن الله... لتمام عدله عز وجل.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ صفة لله ننفي فيها المثيل والشبيه لإثبات (أحديته)، و(انفراده)... عز وجل...

- لقد أدهشتنا يا أبا إبراهيم... جزاك الله خيراً..

- منذ قرأت حديث النبي ﷺ مع الصحابي.. كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد (قباء) وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال: ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتوا النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال:

«يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة». فقال: إني أحبها. فقال: «حبك إياها أدخلك الجنة» (صححه الألباني).

وفي الحديث الآخر: (من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة) - حسّنه الألباني - وتعلمون جميعاً أن الرسول ﷺ أخبر أنها تعدل ثلث القرآن (السلسلة الصحيحة)... وذلك أنها تحتوي على أهم قضية أرسلت بها الرسل وأنزلت لأجهلها الكتب... وهي (فردية الله ووحدانيته وصمديته)...

أين الله؟

في صغرنا كنا نقول: (الله في كل مكان)... ولم نكن نفهم معنى هذه الكلمة... تلقيناها من بعض مدرسي التربية الإسلامية... الآن وقد درسنا العقيدة الصحيحة التي كان عليها الصحابة في زمن النبي ﷺ... عرفنا كم كان الجهل منتشراً في مجتمعاتنا المسلمة... فقد كان مقبولاً أن نتبرك بقبر أو أثر (الخضر) الذي نصبت له قبة في إحدى جزرنا... وكان مقبولاً أن نربط الخرق الخضراء في أيدينا... لحفظ الصغار... وشفاء المرضى...

- وما أهمية معرفة (أين الله؟).. طالما المرء يراقب الله في تصرفاته ويلتزم شرع الله في تعاملاته؟!

هكذا بدأ حواري مع صديقي السوري الذي نزح إلى لبنان بعد الأحداث المدمرة في الشام العزيز...

- قبل أن أجيبك أظن أنه ينبغي أن نرجع خطوة إلى الوراء في نقاشنا.

لقد ارتضى الله سبحانه وتعالى لنفسه أسماء وصفات.. وصفها بأنها (الأسماء الحسنى)... كما في قوله تعالى.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الأعراف)

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ (الإسراء).

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحشر).

وأعلمنا الله سبحانه بأسمائه وأمرنا أن نتعبده بها... وكذلك ذكر الله لنا شيئاً من صفاته في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ... وهذه الأسماء والصفات لله عز وجل... تُعرِّف العبد بربه... وهذا العلم - أعني علم الأسماء والصفات - أشرف علم على الإطلاق لأنه يتعلق بالله سبحانه وتعالى.. وإذا عرف العبد ربه كما يريد سبحانه وتعالى... فإنه يحقق أعظم عبادة ويصلح بهذا العلم جميع أعماله الدينية والدنيوية...

علّق (أبو زياد)...

- أتفق معك في كل هذا... والآن أجب على سؤالي ما أهمية أن نعرف الإجابة على: (أين الله؟).

- ستأتيك الإجابة إن شاء الله... دعني أكمل هذه المقدمة.. وصفات الله عز وجل كما أسماؤه... تليق بجلاله.. ولا تشبه صفات المخلوقين في شيء وإن اتحد اللفظ... فمثلاً... من أسماء الله سبحانه (القوي)... ويمكن أن تصف مخلوقاً بأنه (قوي)... ولكن قوة الله تليق بجلاله... وقوة المخلوق تناسب خلقه... فاللفظ واحد ولكن الفرق بين اللفظين كالفرق بين (الرب) و(العبد)..

وهكذا في جميع أسماء الله سبحانه وصفاته...

- جميل.. تابع...

- والآن لنتحدث عن سؤالك أهمية معرفة (أين الله؟).

أولاً... لأن الله أخبرنا عن هذه الإجابة وأعلمنا بها.. وأراد سبحانه أن نعرف هذه الصفة له سبحانه... فلا ينبغي لنا أن ننكر صفة أثبتها الله لنفسه... وأراد منا أن نؤمن بها..

ثانياً: ... لأن الرسول ﷺ سأل هذا السؤال وأجاب عليه.. وهو أعلم الخلق بالله سبحانه وتعالى... فهل نأتي نحن ونقول (لا يجوز أن نسأل هذا السؤال) ولا ينبغي لنا أن نخوض في الإجابة عليه؟!

ثالثاً: صفة العلو والفوقية لله عز وجل صفة كمال ينبغي أن نثبتها وفق القاعدة العامة للأسماء والصفات:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج).

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (الملك: ١٦).

وفي الأحاديث:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ومعه جارية أعجمية سوداء فقال: عليَّ رقبة فهل تجزئ هذه عني؟ فقال لها النبي ﷺ: «**أين الله؟**»، فأشارت بيدها إلى السماء فقال: «**من أنا؟**» فقالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» (مسلم).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» (حديث صحيح).

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**يتنزّل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له**».

وحديث أنس رضي الله عنه والذي ورد في الصحيحين أنه قال: كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: «**زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات**».

أما أقوال أئمة السلف:

قول أبي عثمان الصابوني:

نقل عن أصحاب الحديث أنهم يعتقدون أن الله فوق سبع سماواته على عرشه كما نطق به كتابه، وأن علماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه وعرشه فوق سماواته.

ذكر ابن القيم في كتاب: (اجتماع الجيوش الإسلامية) ما رواه الحافظ عبد القاهر الرهاوي عنه أنه قال: «لا أصلي خلف من لا يقر بأن الله تعالى فوق عرشه بائن من خلقه».

هذا الأسلوب في الكلام فوق مستواي ولا أفهمه، ولكن فهمت أن

الجواب على سؤالي (أين الله؟)... أن الله مستوٍ على عرشه بذاته بائن عن خلقه فوق السماء السابعة... ولعل أهم دليلين في رأيي وأنا من العوام وليس لدي علم شرعي...

حديث الجارية... وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ الآيات من سورة الملك لأني أحفظها...

- أحسنت يا أبا زياد نعم هذه هي الخلاصة وقضايا العقيدة أخبرنا الله بها وبينها الرسول ﷺ لا ليحتكرها العلماء وإنما لعامة الناس.. ليؤمنوا بربهم كما يحب سبحانه وتعالى.

الرحمن على العرش استوى

- الآن وقد انتهينا من القواعد التي يجب اتباعها في التعرف على صفات الله عز وجل لنبدأ مشوارنا في تدبر الآيات التي أنزلها سبحانه وتعالى يصف نفسه لعباده.

- قبل أن نبدأ دعني أبيّن لك أن بعض الطوائف يحذِّرون من دراسة الأسماء والصفات... ويمنعون أتباعهم من الحديث عن آيات الأسماء والصفات... مع أنها أعظم آيات الله وأشرفها في كتابه... وطائفة أخرى زعموا أن آيات الأسماء والصفات من المتشابه... الذي ينبغي تفويضه إلى الله... وكلا الطائفتين خالف منهج الصحابة الذين علّمهم رسول الله ﷺ... لقد كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ ويقرأه على الصحابة فكانوا يعرفون المراد بآيات الصفات ويؤمنون بها... كما يريد الله عز وجل.. ولا يتكلمون عن (الكيفية)... لأنه لا مجال لعقول البشر أن تدرك (الكيفية)... وليست هي الغاية من إنزال آيات الأسماء والصفات... وإنما الغاية هي معرفة من صفات الله ما يريد منا سبحانه أن نعرفه ونؤمن به.

- لدي سؤال... تقول إن آيات الأسماء والصفات هي أعظم آيات القرآن...

- نعم...

- وهل يجوز لنا أن نفاضل بين آيات القرآن الكريم فنقول هذه الآية أفضل من هذه... وهذه السورة أعظم من هذه؟

– نعم... فإن آيات القرآن من حيث المصدر كلها سواء.. لأنهاكلام الله عز وجل.. ولكن من حيث المحتوى... الآيات التي فيها ذكر أسماء الله وصفاته أعظم من الآيات التي فيها أحكام النكاح والطلاق والإرث والوصية... والدليل أحاديث كثيرة صحيحة عن رسول الله ﷺ... منها:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم**»، قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر أي آية من كتاب الله معك أعظم» قلت: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ قال: فضرب في صدري وقال: «**ليهنك العلم أبا المنذر**» (رواه مسلم).

وفي السلسلة الصحيحة... قال رسول الله ﷺ: «احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ألا إنها تعدل ثلث القرآن.

وقال رسول الله ﷺ: «﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ تعدل ربع القرآن» (حسن).

– جميل.. كيف تريد أن نتدبر الآيات التي فيها صفات الله عز وجل؟!

– لنا أن نقرأ من المصحف أو نتتبع الآيات من بعض الكتب التي تناولت هذا الموضوع.. أو ندمج بين هذا وهذا.. فنذكر الصفة التي نريد أن ندرسها ونذكر الأدلة من كتاب الله عز وجل وأحاديث النبي ﷺ.

كنت وصاحبي في طريق عودتنا من عيادة أحد رواد المسجد اضطر

لإجراء عملية قلب مفتوح لاستبدال أربعة شرايين.. مع أنه أجرى عملية دعامات منذ أقل من سنتين... تابعنا حديثا...

– من أكثر الصفات التي أنكرها من يلحد في أسماء الله وصفاته صفة (استواء الله عز وجل على العرش) وقبل أن نفهم هذه الآيات ونتدبرها... نذكر أنفسنا دائماً (بأن استواء الله عز وجل ليس كاستواء المخلوقات فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله... نؤمن بذلك لأن الله أخبرنا به... ولا نعطل هذه الصفة ولا ننكرها ولا نصرفها عن معناها ولا نشبهها بصفة المخلوقين...)... ولنذكر الآيات التي ذكر الله فيها أنه سبحانه استوى على العرش...

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه).

وقد ورد ذكر الاستواء في غير هذا الموضع في ستة مواضع من كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ (الرعد: ٢).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ (السجدة: ٤).

وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ (الحديد: ٤).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ (الفرقان).

وهذه الآيات تدل على استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه تبارك وتعالى، وكلها بلفظ (استوى على) ، وقد فسره أئمة السنة بالعلو والارتفاع، وقد سئل الإمام مالك عن الاستواء فقال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

وقال ابن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات، على العرش استوى، بائن من خلقه، يؤمن أهل السنة باستوائه على عرشه استواء حقيقياً يليق بجلاله».

- ولماذا ينكر أحد أن الله (استوى على العرش)؟!

- لأنهم قالوا (لا ينبغي أن يوصف الله بالاستواء)..

- وكيف لهم أن يقولوا أنه لا ينبغي أن يوصف الله بالاستواء والله سبحانه وصف نفسه بأنه (استوى على العرش).. هل يعلمون ما لا يعلمه الله.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.. لماذا لا يكتفون بما اكتفى به رسول الله ﷺ وصحابته.. ويقولون كما قال عز وجل... فيؤمنوا بالله كما أخبر هو سبحانه عن نفسه... ويقولوا استواء الله سبحانه ليس كاستواء المخلوقين كما أن علمه ليس كعلم المخلوقين وسمعه سبحانه ليس كسمع المخلوقين.. فلا يشبه المخلوقين في استوائه كما لا يشبههم بذاته.. لماذا يتخيل أحد صفة لله.. ليس كمثله شيء سبحانه.. الحمد لله على نعمة الهداية.

عرش الرحمن

- انتهينا في نقاشنا الأخير من إثبات صفة (الاستواء على العرش) لله عز وجل وأنه سبحانه استوى على عرشه فوق سبع سماوات بائن عن خلقه استواء يليق بجلاله سبحانه لا يشبه استواء المخلوقين... ومع أن كلمة (الاستواء)... معلومة المعنى... إلا أنها في حق الله تليق به سبحانه لا نعرف كيفيتها... وإن كنا نعلم معنى (الاستواء)... فنقول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه)، كما قال ربنا... ولا نصرف المعنى إلى غير مراد الله عز وجل...

كنت وصاحبي واثنان آخران في مجلس بعد صلاة عصر أحد أيام الصيف حيث تمتد فترة العصر لثلاث ساعات تقريباً...

- لنتكلم عن العرش... عرش الرحمن سبحانه!!

- (العرش)... من أعظم مخلوقات الله... وعندما أراد الله أن يبين لنا عظمة هذا المخلوق... أوحى إلى رسولنا ﷺ.. ليخبرنا ﷺ عن (العرش)... وإليك بعض ما صح عن عرش الرحمن...

عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**يا أبا ذر ما السموات عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**».

(صحيح موقوف) عن ابن عباس قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره.

وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ قال: «**أذن لي أن أحدث عن**

ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام يقول ذلك المَلَك سبحانك حيث كنت».

ويخبرنا الرسول ﷺ عن ملك على هيئة ديك.

– إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك! فيرد عليه: لا يعلم ذلك من حلف بي كاذباً (صحيح).

(قد مرقت رجلاه الأرض) أي وصلتا إليها وخرقتاها من جانبها الآخر.

(وعنقه مثنية تحت العرش) أي عرش الله سبحانه وتعالى.

(لا يعلم ذلك) أي لا يعلم عظمة سلطاني وسطوة انتقامي.

(من حلف بي كاذباً) فإنه لو نظر إلى كمال الجلال وتأمل بعين بصيرته في عظم المخلوقات الدالة على عظم الخالق لم يتجرأ على اسمه ويقسم به على خلاف الواقع فالجرأة على اليمين الكاذبة إنما تنشأ عن كمال الجهل بالله تعالى ومن ثم كانت اليمين الغموس من أكبر الكبائر وإن كانت على قضيب من أراك.

وفي الحديث الذي يبين مكان أرواح الشهداء يقول ﷺ: «**إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟**

فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى! فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» (صحيح).

وفي بيان ذكر من أذكار ما بعد صلاة الفجر يقول ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**» (صحيح).

- سبحان الله... لا يمكن لعقلي أن يتصور هذا المخلوق العظيم ولكنني أؤمن بكل هذه الأحاديث في بيان عظم هذا المخلوق... سبحان من خلقه...

هكذا كانت ردة فعل صاحبي بعد أن انتهينا من قراءة بعض الأحاديث الصحيحة في بيان العرش...

- نعم إنه من أعظم المخلوقات والرحمن سبحانه مستوٍ عليه.. وهذا العرش تحمله ملائكة وصف أحدهم الرسول ﷺ.. والله أخبرنا أنه عندما يأتي يوم القيامة للقضاء بين المخلوقات جميعاً... فإن عرشه تحمله ثمانية ملائكة.

﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ (الحاقة)

وورد ذكر حملة العرش في سورة غافر:

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ

سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ (غافر).

- ما أكرمك يا رب... هؤلاء الملائكة الذين يحملون العرش مع عظمتهم.. في الخلق.. يدعون للمؤمنين!! ويستغفرون لهم!! ما أعظم مكانة المؤمن عند الله... هذه الأحاديث تبعث الطمأنينة والفخر والحياء... في قلب المؤمن.. الطمأنينة.. لدعاء الملائكة له... والفخر... أن ذُكِر في الملأ الأعلى... والحياء... لتقصيره.. وقلة عمله وكثرة ذنوبه... ومع ذلك يُذكر اسمه في الملأ الأعلى الأقرب إلى الرحمن... اللهم لك الحمد على نعمة الإيمان.. اللهم وثبتنا على الإيمان ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

- إن مكانة المؤمن عند الله عظيمة... وحرمته عند الله كبيرة... إذا ذَكَرَ الله ذكره الله... وإذا ظُلم نصره... وإذا عُودي.. حارب عنه الله... وزوال السماوات والأرض أهون عند الله من سفك دمه بغير حق.

- الحمد لله على نعمة الإيمان... يحتاج أحدنا أن يتذكر هذه الأحاديث... ليعلم مكانته في هذا الكون.. فيزداد ثباتاً على الحق.. وتمسكاً بدين الله..

- نعم... ولله الحمد والمنة... فهو الذي هدى... وهو الذي أعطى وهو الذي يثبت على الحق... نشكره شكراً يكافئ هذه النعمة العظيمة.. نعمة الهداية.

ينزل ربنا إلى السماء الدنيا.. كل ليلة

لست من مرتادي الديوانيات... ولكني ألبي دعوة بعض الأخوة بين فترة وأخرى لإلقاء درس... أو حضور ندوة.. شرط أن تكون في قضايا دعوية... وخاصة إذا كانت في العقيدة... كانت الدعوة من مجموعة شباب منطقة (حطين).. وكان عنوان الندوة (صفات الله عز وجل)... شاركني فيها أحد الأخوة الدعاة.

كان هو المتحدث أولاً.. ثم بدأت حديثي...

- لم يترك لي الشيخ مجالاً لأزيد على ما قال... ولكن دعوني أضيف بعض الكلمات التي جمعتها عن هذا العلم...

يقول الشيخ ياسر برهامي في كتابه: (منة الرحمن في نصيحة الإخوان).. الجزء الأول ص ٥:

«ومعرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته ومحبته ودعاؤه بها والتعبد له بمقتضاها هي جنة الدنيا التي من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وأجمع المسلمون على فضل هذا العلم وشرفه فمن قلل من شأنه أو قال عنه: إنه (ترف عقلي) أو إنه (إنشغال بما غيره أولى منه) فهو ضال مبتدع)».

- ومع شرف هذا العلم... فإن أناساً يتجنبون الحديث فيه... وينشرون أن علم الأسماء والصفات من العلوم الصعبة المعقدة التي لا ينبغي أن يتحدث فيها إلا أهل الاختصاص...

والرد على هؤلاء بسيط.. نقول لهم... على من أنزل القرآن.. وعلى

من كان يقرأ رسول الله ﷺ القرآن... على عامة الصحابة... وأغلبهم لم يكن يقرأ ولا يكتب... ولكنهم كانوا يفهمون ما يقرأ عليهم ويؤمنون به... ولم يرد عن أي منهم... أن سأل رسول الله ﷺ (كيف استوى ربنا على العرش؟)... أو (كيف يكون لله يد؟).. أو (كيف يسمع ربنا؟)، أو (كيف يتكلم ربنا؟)، هذه الأسئلة لم ترد في زمن الصحابة... وعندما بدأ طرح مثل هذه الأسئلة غضب أئمة العلم ووصفوا من يطرح هذه الأسئلة بالضلال... ولو اتبع الجميع منهج السلف لكفانا ماكفاهم ولهدانا الله للحق كما هداهم... ولا شك أنهم كانوا أعلم وأتقى منا... فقد كانوا مع رسول الله ﷺ... وبدل أن أطرح عليكم موضوعاً ليتنا نجعلها أسئلة وإجابات.

فتحتُ باب الأسئلة... وعادة لا يسأل أحد حتى تبدأ أنت بتحريك المياه الراكدة... بدأت الحديث..

– لنبدأ بالقاعدة... في صفات الله عز وجل.. ماذا نقول؟... ولم أنتظر إجابة أحد... بل طلبت من مدير الندوة أن يجيب... بعد ابتسامة اعتراض أجابني..

– نقول في الصفات ما قاله السلف... (نصف الله بما وصف به نفسه... لا نزيد ولا ننقص... ولا ننفي صفة ولا نشبه صفة لله بالمخلوقين... ليس كمثلة شيء وهو السميع البصير... ولا نأول المعاني بغير مراد الله عز وجل).

– أحسنت يا أبا يوسف...

سألني أحدهم...

-لنطبق هذه القاعدة على صفة من صفات الله عز وجل...

- جميل .. اختر ما شئت من صفات الله سبحانه...

- صفة (نزول الله عز وجل كل ليلة).

- أحسنت... أولاً لنذكر الآيات والأحاديث التي تثبت هذه الصفة لله عز وجل.

في الصحيحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**».

وفي رواية مسلم: «**إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تعالى وتبارك إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيُعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيُغفر له حتى ينفجر الصبح**».

بعد ثبتوت صحة هذه الأحاديث نقول إننا نؤمن بأن ربنا ينزل كل ليلة إذا كان ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله سبحانه لا يشبه نزول ا لمخلوقات والنزول معلوم والكيف مجهول نؤمن بهذه الصفة لربنا سبحانه لا ننكرها ولا نأولها ولا نشبهها... هذه كانت عقيدة رسولنا ﷺ وسلفنا.. وهذا الذي نرجو أن نلقى الله عليه...

أنكر بعض الناس هذه الصفة... وقالوا أن مراد الرسول ﷺ... بنزول الله.. (نزول رحمته)... وبالطبع الرد على هذا الزعم لا يحتاج إلى عالم

بالعقيدة ولا متخصص باللغة أن رحمة الله تتنزل كل حين ولا تختص بوقت معين من ليل أو نهار... والذي دفع هؤلاء القوم إلى تأويل صفة النزول أن عقولهم لم تستوعب الجمع بين إستواء الله على عرشه ونزوله إلى السماء الدنيا... وذلك أنهم قاسوا الاستواء والنزول على ما يعرفونه من استواء البشر ونزولهم... فالخروج من هذه الضلالة... هي أن نؤمن بهاتين الصفتين ولا نقيسهما على صفات البشر... ولا على صفات أي مخلوق من مخلوقات الله عز وجل... ولو تجنب هؤلاء قول (كيف؟) لنجوا من الوقوع في هذا الخطأ الجسيم...

عقّب أحد الحضور على كلامي...

– لقد قرأت في أحد الكتب أن هؤلاء القوم أشكل عليهم.. إثبات صفة النزول لله عز وجل لأنهم زعموا أنه سبحانه إذا نزل إلى السماء الدنيا خلا العرش منه... وهذا ينافي استواءه على العرش فأولوا صفة النزول.

– نعم... هذا لأنهم قاسوا هذه الصفات وشبهوها بصفات البشر.. أما صفات الله عز وجل فهي ثابتة له سبحانه... ولن نستطيع أن نعرف كيفيتها... كما نؤمن بأن ذات الله ليست كذات الخلق... وعلم الله ليس كعلم الخلق.. وسمع الله ليس كسمع الخلق.. وقوة الله ليست كقوة الخلق.. كذلك استواء الله ليس كاستواء الخلق.. وكذلك نزول الله ليس كنزول الخلق... فالقياس لا يجوز في الذات.. وكذلك لا يجوز القياس في الصفات... وذلك عندما قال بعض المنكرين لهذه الصفة للقاضي عياض: «أنا أكفر برب ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا قال له: أنا أؤمن برب يفعل ما

يشاء»...وهذا هو الكمال... أن الله يفعل ما يشاء.. فنزوله كل ليلة لا يلزم عدم استواءه على العرش واستواؤه على العرش لا يستلزم عدم نزوله... لأننا لا نعرف كيفية الاستواء ولا كيفية النزول وإن كنا نثبتهما لله عز وجل لأنه هو سبحانه أعلمنا بهما.

– وكذلك ثبت نزول الله عز وجل يوم عرفة عندما يقف الحجيج في هذا النسك العظيم من الحج... ففي الحديث عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول سبحانه: عبادي جاؤوني شعثاً من كل فج عميق يرجون جنتي فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له**» وفي رواية ابن حبان..

(فإذا وقفت بعرفة فإنه الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيقول انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج).

فلا مجال لعاقل يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤمن برسول الله ﷺ أن ينكر هذه الصفة من صفات الله أو يأولها عن معناها الذي أراده الله..

إستأذن أحدهم للحديث..

– ألا يمكن أن نثبت صفة أخرى لله عز وجل وهي (صفة الكلام).. من هذه الأحاديث...

– نعم.. نثبت صفة الكلام لله عز وجل من هذه الأحاديث ومن غيرها ومن آيات من القرآن.. وسنفصل ذلك في لقاء قادم إن شاء الله.

تجليَّ ربنا للجبل...

كنت وصاحبي في رحلة قصيرة إلى لبنان.. حيث يملك منزلاً صغيراً في منطقة جبلية.. سألني أن أرافقه لأن الرحلة لن تتجاوز ثلاثة أيام... وافقت بعد أن أكد لي أننا سنؤدي صلاة الجمعة في أحد مساجد بيروت.

أمام شقته الأرضية... وكنت أظن أنه منزل... أوجد حديقة صغيرة زرع فيها العنب والتفاح والمشمش والكيوي... وهذا كان أجمل ما في هذه الرحلة القصيرة... جلسنا في هذه الحديقة الصغيرة نحتسي الشاي عصر الخميس... وكان المجلس يطل على سلسلة جبال ...

- جميل منظر الجبال... والأكمل أن يتذكر العبد ما أخبرنا الله به عن هذا المخلوق العظيم..

- نعم... هذا المخلوق العظيم... ذكره الله في كتابه ليعتبر ابن آدم... فهو أشد من ابن آدم في قوته... ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾﴾ (النازعات).

كان صاحبي يحمل كعادته دائماً هاتفه الذكي الذي خزن فيه (المكتبة الشاملة) يبحث فيها عن كل شيء...

- دعني أبحث عن بعض الآيات التي ذكرها الله عن الجبال في كتابه...

– آيات كثيرة ذكر فيها الله مهمة الجبال في تثبيت الأرض ومآلها يوم القيامة.

زادت نتيجة البحث عن الستين آية ولكن دعني أنتقي منها بعض الآيات.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ (الحج)

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب).

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ (الأعراف).

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ (الإسراء).

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ (مريم).

﴿﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ (الغاشية).

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الحشر).

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ (طه).

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ (الطور).

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ (المزمل).

– وماذا عن معنى قوله سبحانه أنه (تجلى) للجبل؟!

– كنت متأكداً أنك ستسألني عن هذه الآية... لأن فيها صفة من صفات الله عز وجل.

قالها صاحبي مبتسماً.. وأخذ يبحث في كتب التفسير...

– قبل أن نقرأ ما قاله العلماء في هذه الآية... لنتذكر القاعدة الذهبية في صفات الله عز وجل وهي... الصفة معلومة نثبتها لله عز وجل دون تحريف ولا تشبيه ولا تأويل... والكيف لا نعلمه.. (تجلى) في اللغة.. ظهر.. بان.. انكشف.. ويقال أخبرني عن جلية الأمر أي حقيقته (لسان العرب)...

ومما يقرب المعنى، ما رواه الترمذي وغيره، من طرق عن أنس: أن رسول الله ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿**فلما تجلى ربه**﴾ فوضع إبهامه قريباً من طرف خنصره يُقلل مقدار التجلي. (صححه الألباني).

وصَعِق موسى من اندكاك الجبل فعلم موسى أنه لو توجه ذلك التجلي إليه لما بقي من جسده شيء.

وروي عن حماد عن ثابت عن أنس قال قرأ رسول الله ﷺ فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكاً قال وضع إبهامه على قريب من طرف أنملة خنصره فساخ الجبل قال حماد قلت لثابت تقول هذا؟ فقال: يقوله رسول الله ﷺ ويقوله أنس وأنا أكتمه؟

وقال الزجاج تجلَّى ربه للجبل أي ظهر وبان قال: وهذا قول أهل السنة، فلا ينبغي لأحد أن ينكر تجلى الله سبحانه للجبل... بالمعنى المعلوم تجلياً يليق بجلاله سبحانه لا يشبه تجلي المخلوق..

- وهل يمكن أن نستدل بهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى لا (يُرى) في الحياة الدنيا؟!

- هذا الكلام صحيح... وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله لا يُرى في الدنيا... ومن زعم ذلك فقد كذب.. ونثبت أنه سبحانه يُرى في الآخرة...

حان وقت صلاة المغرب دخلنا للوضوء وأداء صلاة الجماعة مع حارسي العمارة... وأبنائهما الثلاثة...

ربنا يحب المؤمنين

في رحلة قصيرة إلى تونس الخضراء للمشاركة في مؤتمر علمي... صاحبني زميلي (عبدالوهاب)... كان لكل منا ورقة علمية.. بعد دراسة كافة خيارات الطيران قررنا السفر مروراً بالقاهرة...

من الأمور التي تساعد على سرعة مرور الوقت في الرحلات الطويلة... النقاش والحوار في قضايا تهم الطرفين...

سألني صاحبي...

- لماذا كتب العقيدة معقدة؟! وكأن الكلمتين أصلهما واحد (ع ق د)؟

- ولماذا تقول هذا الكلام؟ وكيف توصلت إلى هذه النتيجة؟!

- من واقع تجربتي... مثلاً كتب ابن تيمية.. عندما يرد على الفرق الأخرى... والفلاسفة.. وأهل الكلام... أحاول التركيز في محاورته لهم... وأقرأ صفحات وصفحات.. فأملّ.. وأشعر أني تهت... وفقدت نقاط النقاش... فأترك الموضوع...

- هل أنت من أهل الاختصاص في العقيدة... ومن علماء أصول الاعتقاد... أم من عامة الناس؟

- بل من عامة الناس في العقيدة؟!

- إذن اقرأ ما يهم العامة... ولا تقرأ نقاشات أهل الاختصاص.. قضايا العقيدة المطلوبة من عامة الناس بسيطة وسهلة وميسرة... وذلك لأنها

أصل الدين الذي يجب أن يؤمن به الجميع... القارئ والأمي... الصغير والكبير.. العربي والأعجمي.. لذلك تجد القواعد العامة في قضايا العقيدة بسيطة وسهلة.. مثلاً قضايا التوحيد... توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات...

قاطعني...

- أثبت لي أن توحيد الأسماء والصفات قضية سهلة...

- لك ذلك..

قطع حديثنا مضيف الطائرة يسأل عن رغباتنا في الوجبات والمشروبات... انتهينا منه ... تابعت حديثي..

- في توحيد الأسماء والصفات... نؤمن بأن لله أسماء... وصفها سبحانه بأنها حسنى فقال سبحانه: ﴿**ولله الأسماء الحسنى**﴾... وهذه الأسماء موجود منها شيء في القرآن وشيء في السنة النبوية الصحيحة... فنؤمن بكل اسم لله عز وجل... ثبت في القرآن أو السنة... لا ننكر شيئاً من أسمائه...

- هل هي تسعة وتسعون اسماً؟!

- بل هي أكثر من ذلك أعلمنا الله جزءاً منها... ولم يعلمنا بأسماء أخرى... ولكن هذه الأسماء كلها ثابتة لله بمعانيها... وكلها حسنى ارتضاها الله لنفسه سبحانه وأعلمنا بها... فينبغي أن نتعلم هذه الأسماء ومعانيها وندعو الله بها...

- ونؤمن أن لله عز وجل صفات تليق به سبحانه لا تشبه صفات المخلوقين... والفرق بين صفات الله عز وجل وصفات المخلوقين كالفرق بين ذات الله وذات المخلوق...

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾...

وهذه الصفات نؤمن بها لله عز وجل نثبتها... كما وردت في كتاب الله أو سنة النبي ﷺ الصحيحة .. ويضع العلماء هنا قاعدة سهلة بسيطة وهي: (صفات الله نثبتها دون تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل) ولن نعرف كيفية الصفات كما لا نعرف كيفية الذات... فلا نسأل (كيف؟) في صفات الله... بل نعرف المعنى ونثبته وننزه الله عن مشابهة شيء..

- كلام جميل... يحتاج إلى أمثلة...

- مثلاً صفة (حب الله للمؤمنين)... نقول إن الله سبحانه يحب فئات من خلقه... كما أخبر سبحانه وتعالى في محكم تنزيله...

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ (البقرة).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة).

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (آل عمران).

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران).

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (المائدة).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ (الصف).

وآيات أخرى وأحاديث أخرى... كثيرة... و(الحب) معروف وهو في حق الله (حب) يليق بجلاله لا يشبه حب المخلوقين ولا ينبغي أن (نكيف) حب الله لبعض خلقه وبعض الأعمال.. بأنه (ميلان القلب وبهجته).. لأن هذا حب المخلوق وليس حب الله عز وجل..

- إذن (كيف) هو حب الله؟

- هذا السؤال الذي لا ينبغي أن نسأله في حق الله؟!

وفي جميع صفاته... وأسمائه سبحانه... (كيف)؟ لا نقول كيف لأننا لن ندرك... ولانستطيع أن نعرف (الكيف) له سبحانه وتعالى... وأمرنا الله ألا نقول (كيف؟)... بل أمرنا أن نؤمن به... وبأسمائه... وصفاته سبحانه دون كلمة (كيف؟)... فنثبت هذه الصفة لله عز وجل...

- جميل... وبعد ذلك؟!

- بعد ماذا؟

- بعد أن نؤمن بهذه الصفة لله عز وجل وغيرها من الصفات له سبحانه وتعالى؟!

- هذا العلم هو أشرف علم يمكن أن يتعلمه الإنسان وأعظم ما يقرب العبد من ربه... بهذا العلم يعرف العبد ربه معرفة صحيحة... ويعبده عبادة صحيحة... فإذا علمت أن الله يحب (التوابين)... ألا تريد أن

تكون من التوابين؟... وإذا علمت أن الله يحب (المحسنين)... ألا تريد أن تكون من المحسنين؟ وإذا علمت أن الله يحب المقسطين ألا تريد أن تكون من (المقسطين)؟... وإذا علمت أن الله يحب (المتقين) ألا تريد أن تكون من المتقين؟

- بلى دون شك...

- وهكذا في جميع صفات الله عز وجل.. يورث العلم بصفات الله عز وجل معرفة صحيحة بالله... لأن الله أراد أن يعلمنا بهذه الصفات من صفاته سبحانه وتعالى... وهذا العلم يورث إيماناً صحيحاً... وأخلاقاً سليمة... وعبادة مقبولة..

- لم تذكر لي حديثاً في صفة (الحب) لله.. عز وجل...

- لك ذلك.

«**إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء**» (صحيح).

«**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**» (صحيح).

«**إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها**» (صحيح).

«**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**» (الصحيحة).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ وللمتجالسين فيّ وللمتزاورين فيّ وللمتباذلين فيّ**» (صحيح).

«إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه». (صحيح).

وعن يعلى العامري أن رسول الله ﷺ قال: **«حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط»** (صحيح).

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أحب الله عبداً نادى جبرائيل فقال إني أحب عبدي فأحبوه فينوه بها جبرائيل في حملة العرش فتسمع أهل السماء لغط حملة العرش فيحبه أهل السماء السابعة ثم سماء سماء حتى ينزل إلى السماء الدنيا ثم يهبط إلى الأرض فيحبه أهل الأرض»** (صحيح مختصراً).

- نعم إن إثبات هذه الصفة لله تورث علماً ومعرفة بالله عز وجل وتورث خلقاً وعملاً وعبادة عند العبد... لأول مرة أعرف أن مواضيع العقيدة والتوحيد يمكن أن تكون سهلة الفهم يسيرة المعرفة، ولها هذا الأثر العظيم في إيمان العبد...

ابتسمت لتعليق صاحبي حامداً الله في نفسي.

ربنا يرضى ويسخط

كثير من الناس لا يفكر في دراسة صفات الله عز وجل... ومنهم من يعرف شيئاً من الأسماء الحسنى .. ليرددها في الأناشيد والتواشيح التي يصفونها أنها «إسلامية»... حتى أن بعضهم لحن الأسماء الحسنى أغنية تردد في المناسبات «الدينية»!!!

– ولماذا الاعتراض على ذلك؟! يقول لك ترديد الأسماء الحسنى.. ولو في الأناشيد والتواشيح... ينفع عوام الناس يسهِّل عليهم حفظها..

– إن الأسماء الحسنى والصفات لله عز وجل... أشرف من أن تكون موضوع تواشيح وأناشيد... إنها أشرف علم وأعظم ما يتقرب به العبد لربه... ينبغي أن تدرّس وتعلّم وتحفظ... إنها السبيل الأفضل لمعرفة الله... وعبادته كما يحب ربنا ويرضى..

– أراك تكثر من عبارة (كما يحب ربنا ويرضى)... هل من سبب لذلك؟

– إن (الرضى) – وبعضهم يكتبها (الرضا) – والأولى هي الصحيحة لأن الفعل منها (رضي)...

– هذا درس في الإملاء...

قالها صاحبي مبتسماً..

– إن (الرضى) من صفات الله عز وجل... وكذلك (السخط)... فإن الله (يرضى)... و(يسخط).. كما يليق بجلاله سبحانه.. لا كرضى

المخلوقين ولا كسخط المخلوقين (والرضى والسخط) معلومان لغة وهما في حق الله صفتان تليقان بجلاله لا نعلم كيفيتهما ولا نَقِيسُهُمَا على صفات المخلوقين... والأدلة من الكتاب والسنة:

يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (التوبة).

ويقول تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ (المائدة).

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ (الفتح).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ (محمد: ٢٧).

وفي صحيح مسلم - أنه قال: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**». فالشاهد قوله: إن الله يرضى.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**» (أخرجه مسلم).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو يصلي وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك**

من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (رواه مسلم).

– ولماذا ينكر أحد صفة (الرضى) أو (السخط) في حق الله عز وجل..

– ينكر بعض الناس هاتين الصفتين وغيرهما في حق الله لأنهم يقيسون صفات الله سبحانه على صفات المخلوقين.

يقولون... (الرضى)... صفة تدل على ميل القلب وانكساره... وهذه ينزه الله عنها... والرد على ذلك... أن تعريف (الرضى)... بهذه الكلمات إنما هو (رضى) المخلوق... أما الرب سبحانه فلا يوصف رضاه بهذه الكلمات... وإنما يقال... الرضى من صفات الله عز وجل دون كيفية ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل... ونقول: (إن الله يرضى).. لأنه هو سبحانه أخبرنا بذلك.... والرسول ﷺ أخبرنا بذلك... وإلا لما قلناه... دون أن نتخيل كيفية لهذا الرضى... أو السخط من الله عز وجل...

– كلام جميل..

كنت وصاحبي نتحاور ونحن في طريقنا لعيادة أحد رواد مسجدنا أدخل إلى المشفى لآلام طارئة في صدره... اتضح أنها جلطة صغيرة تستوجب عمل قسطرة...

تابع صاحبي كلامه...

– ولماذا يتجرأ أحد على الله... فيتكلم في صفات الله عز وجل بكلام لم يقله الله عز وجل... ولم يخبرنا به رسول الله ﷺ هذا سوء أدب مع الله... ويناقض المنطق والعقل السليم...

- أحسنت يا (أبا ناصر)... ومما ينبغي بيانه في هاتين الصفتين أعني (الرضى والسخط)... أن الرضا صفة ذاتية لله عز وجل والسخط صفة طارئة... بمعنى أن سخط الله وغضب الله... يكون لعمل طارئ... ولفئة معينة محددة... أما رضى الله عز وجل فهي صفة لذاته سبحانه... كالعلم والحياة والقدرة... فالرضا أحب إليه من السخط والرحمة سبقت الغضب... والعفو يغلب الانتقام... وهكذا...

ولا نساوي بين (الرضى والسخط)... مع أنهما صفتان لله عز وجل..

قاطعني صاحبي...

- هذا كلام يحتاج إلى تركيز هل لك أن تبسطه...

- دعني أذكر لك كلام العلماء في هذا الأمر..

قال ابن تيمية: «صفاته تعالى من الرضا والرحمة صفتان ذاتيتان فلا منتهى لرضاه وأن سخطه وعذابه ليسا من صفات ذاته كعلمه وحياته والعفو أحب إليه من الانتقام والرحمة أحب إليه من العقوبة والرضى أحب إليه من الغضب والفضل أحب إليه من العدل ثم إن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ما ذكر إلى نفسه وأما العذاب والعقاب فإنهما من أفعاله ولذلك لا يسمى بالمعذب والمعاقب بل يفرق بينهما فيجعل هذا من أوصافه وهذا من أفعاله، كقوله تعالى:

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ (الحجر).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ (الأعراف:١٦٧).

فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها ولا سيما إذا كان محبوباً له في أسمائه وصفاته، وأما العذاب فلا يدخل في أسمائه وصفاته وإن دخل في أفعاله لحكمة، بخلاف الخير فإنه سبحانه دائم المعروف ولا ينقطع معروفه أبداً على الدوام وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لم يزل معاقباً على الدوام غضباناً على الدوام فتأمل هذا في أسماء الله فإنه يتضح لك باب من أبواب معرفته ومحبته».

- دعني أخبرك بما فهمته... وصوبني إذا كان خطأ... (الرضا) صفة دائمة لله عز وجل... لازمة لذاته سبحنه... لا تزول عنه هذه الصفة... أما السخط... فإن الله يسخط أموراً إذا وقعت... ويغضب لأمور إذا حصلت وإذا زالت هذه الأمور زال غضبه وانتفى... وإذا ذهبت أسباب سخطه ذهب سخطه وانتفى...

- نعم هذه الخلاصة في هاتين الصفتين لله عز وجل... وهذه القاعدة يمكن أن تطبق على غضب الله... وانتقام الله ... فإنه لا ينتقم إلا من المجرمين.. وسخط الله.. وعذاب الله.. فإنها من أفعاله سبحانه... تكون لأمر محدود... أو فئة محدودة أو زمن محدود..

- أظن أن الأمر واضح بارك الله فيك.

ربنا لا يحب هؤلاء!

- إذا كان من صفات الله عز وجل أنه (يحب) أقواماً وأعمالاً وأخلاقاً فهو كذلك (لا يحب) آخرين ولا أعمالاً أخرى ولا أخلاقاً أخرى... وورد في كتاب الله آيات كثيرة تبين فئات من الناس وأشياء (لا يحبها الله)... وعلى سبيل المثال لا الحصر يقول تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأنفال).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الحج).

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ (لقمان).

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (آل عمران).

وآيات أخرى كثيرة.

عقّب صاحبي..

- وبالطبع نقول في هذه الصفة ما نقول في جميع صفات الله عز وجل أن الله (لا يحب) هؤلاء الناس ولا هذه الاعمال كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نشبه بصفات المخلوقين ولا ننكر هذه الصفة لله عز وجل..

- نعم... أصبت يا أبا محمد.. ويمكن للعبد أن يلاحظ درجات هذه الصفات لله عز وجل... (الحب - الرضى - عدم الحب - السخط - الكره)... كلها ثابتة لله عز وجل... فينبغي على العبد أن يبتعد عن مناطق سخط الله... وكره الله.. سبحانه.. ويتدرج في رضى الله سبحانه... ويسعى أن ينال حب الله عز وجل... وهذه لا تأتي بالتمني... ولكن بالعلم والعمل... العلم النافع.. والعمل الصالح...

كنت وصاحبي ننتظر صلاة العشاء... أخذنا مجلسنا في زاوية المسجد الخلفية لا نشوش على (أبي عبدالله) الذي كان يقرأ القرآن في الصف الأول.

- إني لأعجب لرجل يحرص على صلاة الفجر ولا يدع فريضة إلا ويؤديها في المسجد جماعة... ثم يعرض عن مجالس العلم.. ولا يقرأ كتاباً

ولا يستمع إلى دروس... يكتفي بما عنده... مع أن لديه من الأوقات ما يقضيه في لغو الحديث.. واللهو واللعب.

لم أعلّق على مقولة صاحبي..

- عندما يقرأ أحدنا الآيات التي تبيّن صفات من (لا يحبهم) الله... والأعمال التي (لا يحبها الله)... يصبح لديه دافع كبير أن يتجنب هذه الأخلاق والأعمال مثلاً...

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾... وإن كان الشرك هو أعظم الظلم... ولكن العبد يحرص أن لا يكون من الظالمين بأي درجة من الظلم كانت... لأن الله لا يحب الظالمين... وهو أعلم بالظالم وإن خفي على الناس وعلى القاضي.

وكذلك عندما يقول سبحانه: ﴿**والله لا يحب الفساد**﴾.. ينتبه العبد ألا يكون سبباً للفساد... أي فساد... لأن الله لا يحب الفساد... ولا يحب المفسدين... وهكذا في جميع ما ورد في القرآن عن الأخلاق والأعمال التي لا يحبها الله سبحانه وتعالى...

- لنبحث في الهاتف عن بعض الآيات الأخرى التي تبين (ما لا يحبه الله)... عز وجل..

أخرج صاحبي هاتفه... في أقل من دقيقة...

- نتيجة البحث (٣٣) آية... دعني أقرأها لك...

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ (النساء).

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ (الأعراف).

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الأعراف).

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (النحل).

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (الروم).

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (الشورى).

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الحديد).

- هل لديك باحث في أحاديث النبي ﷺ.

نعم... (لدي الدرر السَنِيَّة) لنبحث فيها..

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش**» (الصحيحة).

وفي حديث سفيان بن سهل أن رسول الله ﷺ قال له: «**لا تسبنّ أحداً**

ولا تحقرن شيئاً من المعروف وأن تُكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه» (السلسلة الصحيحة).

وعن أبي ذر رضي الله عنه رفعه إلى النبي ص قال: «**إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة، فذكر الحديث إلى أن قال قلت فمن الثلاثة الذين يبغضهم الله قال المختال الفخور وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل إن الله لا يحب كل مختال فخور والبخيل المنان والتاجر أو البائع الحلاف**» (صحيح).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «**إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش والمتفحش وإياكم والشح فإن الشح دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» (صحيح).

- دعني أذهب أجدد وضوئي قبل الأذان.. ذهب صاحبي وأخذت مصحفي أتابع ختمتي الشهرية.

قد يغضب ربنا

– ذكرنا أن من صفات الله عز وجل أنه (يكره أعمالاً وفئات من الناس) وأنه (يسخط على فئات من البشر)... وأنه سبحانه وتعالى (يمكر بالخير).. وأنه (ينسى المنافقين) بمعنى يتركهم في العذاب...

فهل يجوز أن نصف الله بأنه (يغضب) عز وجل...

صاحبي (أبو طارق) من الأردن استقر في حيّنا منذ قرابة السنة... وكان أول مكان قصده للتعرف على أهل الحي... المسجد.. وازداد تداخلاً معنا لأنه لا يترك فريضة إلا أداها في المسجد حاضرة..

– كما ذكرنا سابقاً يا (أبا طارق)... كل صفة ذكرها الله في كتابه نؤمن بها ونثبتها لله عز وجل دون تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف... وكذلك لا نعطل الصفات بزعمنا أنها لا تليق بالله عز وجل... فالله سبحانه وتعالى عرفنا بذاته.. وذكر لنا ما شاء من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى... ولذلك ليس لنا أن نضيف لها شيئاً ولا نحذف منها شيئاً... وكل أسماء الله تعالى (حسنى).. وكل صفاته سبحانه (عُلى)... وكلها صفات كمال وعز وجمال ورحمة... سبحانه وتعالى...

– كعادتك لا تجيب إلا بعد أن تضع القواعد والأسس...

– هذا أبلغ في الإجابة... والآن دعنا نتصفح المصحف لنبحث عن الآيات التي فيها صفة (الغضب) لله عز وجل...

﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (النور).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (المجادلة).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ (الممتحنة).

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ (النساء).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ (المائدة).

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الأعراف).

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ (الفتح).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ (الأعراف).

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ

بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾﴾ (النحل).

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾﴾ (طه).

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ (الشورى).

وفي الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ:

«**اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله وهو حينئذ يشير إلى رباعيته اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله**» (متفق عليه).

«**صدقة السر تطفئ غضب الرب**» (صحيح).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله ﷺ «**ما يباعدني من غضب الله عز وجل قال لا تغضب**» (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال ما يمنعني - حسن).

ومن حديث أبي هريرة: «**وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي إلى غضب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض**» (صحيح).

عن أبي هريرة عن ابن عباس: «**اشتد غضب الله على من زعم أنه مَلِكُ الأملاك لا ملك إلا الله**» (صحيح).

عن أبي أمامة «**سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب ويروحون في سخط الله**» (صحيح).

وعن أبي هريرة: «**يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله**» (صحيح).

«**إذا شاع الزنا والربا في قرية فقد أحلت بنفسها غضب الله**» (صحيح).

- نعوذ بالله من غضب الله...

- دعنا نتدبر قليلاً المواضع التي ورد فيها غضب الله..

- المرأة التي تقسم على كذب زوجها الذي اتهمها بالزنا.. وهو صادق.

- من يتولى قوماً غضب الله عليهم ويحبهم ويناصرهم.

- من يقتل مؤمناً متعمداً... ولم يتب..

- اليهود الذين اتخذوا العجل.

- المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات..

- عاد قوم هود الذين كفروا به وكذبوه.

- من كفر وانشرح صدره للكفر.

- المجادلون في الحق بعد بيانه.

- وأما في الأحاديث فورد غضب الله عز وجل على:

- المشركين الذين ماتوا في قتالهم لرسول الله ﷺ.

- الكافر وهو في سكرات الموت.

- من وصف نفسه بأنه ملك الملوك (شاهنشاه).

- أهل السلطة الظالمين لعباد الله.

- أقوام انتشر فيهم الزنا والربا .. وقبلوه..

أخذ صاحبي يكرر..

- نعوذ بالله من غضب الله نعوذ بالله من غضب الله..

- لا شك أن العبد المؤمن في رحمة الله وليس في غضب الله ومع ذلك أرشد الرسول ﷺ ابن عمر فقال له: «**لا تغضب**» حتى تبتعد عن غضب الله.. وفي الحديث الآخر: «**صدقة السر تطفئ غضب الرب**»... فهذه الأمور يؤمن العبد المؤمن بها ويعمل بمقتضاها.

- الحمد لله على نعمة الهداية ونسأله سبحانه أن يثبتنا..

- ينبغي يا (أبا طارق) أن نبين هنا حديثاً عظيماً عن رسول الله ﷺ أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه.. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي**»... وفي رواية: «**سبقت رحمتي غضبي**»..

وفي روايـة: «**لما فرغ الله من الخلق كتب على عرشه إن رحمتي سبقت غضبي**».

فرحمة الله صفة دائمة لله عز وجل... فهو الرحمن الرحيم.. برحمته تقوم السماوات والأرض... ولكنه سبحانه يغضب إذا وقعت بعض الأمور التي ذكرناها سابقاً... وإلا فالأصل أنه رحيم سبحانه دائماً... وغضبه طارئ على أقوام محددين وأعمال محددة... فليس من أسمائه (الغضبان)... وإنما من أسمائه (الرحمن)... وهنا قاعدة... أن الصفات التي نشتقها من الأسماء الحسنى... دائمة... وهي الأصل... أما الصفات التي وصف الله بها نفسه وليست من الأسماء الحسنى... فهي طارئة... لمن يستحقها... حيث يستحقها... ولا نشتق منها أسماء لله عز وجل...

ابتسم أبوزياد..

- كما بدأت بقاعدة ختمت بقاعدة!!!

من لعنه الله

في صالة الانتظار... إلتقيت أحد زملاء العمل كان في رحلة إلى تونس لقضاء إجازة الشتاء... وكنت في رحلة قصيرة إلى مصر... على ذات الرحلة... بدأ حديثنا في الصالة وأكملناه في الطائرة بعد أن تجاورنا في المقاعد لقلة عدد المسافرين نسبياً...

- لماذا الحديث بالتفصيل عن صفات الله عز وجل؟ وما أهمية معرفة هذه الصفات؟... وما الضرر إن جهل أحدنا هذه الصفات لله عز وجل؟

- هذا العلم أولاً... أشرف العلوم... أحدنا يقضي ثلث عمره يتعلم ما يمكنه لكسب عيشه... ويستمر باقي حياته... في البحث والنشر.. والمشاركة في المؤتمرات العلمية والاستشارات المهنية وتبادل الخبرات مع الأقران... ويمضي العمر... في علم ينفع دنياه.. ثم ماذا؟... سنموت... فماذا أعددنا لما بعد الموت؟... بل ماذا أعددنا للحياة... لأن من غفل عن الإعداد لآخرته يتحسر كما قال تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ (الفجر)، فكأنه لا حياة... إلا الحياة الآخرة ولذلك وصفها الله عز وجل بأنها (الحيوان)... أي الحياة الواسعة الحقيقية..

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ (العنكبوت)، لذلك ينبغي الإعداد لها بالعلم والعمل... العلم النافع والعمل الصالح... وهذا العلم الذي يتعلق بالله هو أشرف العلوم وأولى ما يقضي به العبد وقته ويفني عمره... ثم... ماذا

يريد العبد أكثر من أن يعرف ربه معرفة صحيحة كما يحب ربنا ويرضى... سبحانه أراد أن يعرّفنا بعض أسمائه وصفاته... فهل هناك أشرف من هذا؟ وهذه هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله... لا مجال للاجتهاد ولا التخمين في هذا العلم... ومن حاول ذلك ضلّ... فكما أمرنا الله بالصلاة والصيام وأركان الإسلام... أمرنا بمعرفة أسمائه وصفاته والتقرب إليه بها... ثم هذا العلم هو سبيل النجاة يوم القيامة عندما يؤمر كل أناس أن يتبعوا إلٰههم... فالمؤمنون يعرفون ربهم بما علموا من صفاته في الدنيا...

- أراك أسهبت في الإجابة...

- بل اختصرت... لأن الإجابة على سؤالك يمكن أن يكون موضوعاً لكتب ومجلدات...

- ألا يكفي أن نعرف ربنا بأنه الغفور الرحيم الذي يحب خلقه ويهديهم ويغفر لهم... ويسترهم.. ويرزقهم.. ويحميهم..

- قاطعته..

- هل هذه الصفات حفظتها لأنها ثابتة في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ أم أنك تتكلم من خلفية تربيت عليها؟!

- بصدق... من خلفية تربيت عليها..

- وهنا الخطأ... مع أن هذه الصفات ثابتة لله عز وجل ولكن ينبغي أن نتعلمها من القرآن والسنة... لا مما نظن... ونسمع من آبائنا وأجدادنا حتى لا نقع في الخطأ والزلل.. مثلاً.. هل يجوز أن نصف الله أنه سبحانه (يغضب)؟ أو أنه سبحانه (يسخط)؟

- بصراحة.. لا أدري..

- إذن ينبغي أن نتعلم هذه الأمور حتى نتعرف على الله كما يريد هو سبحانه وتعالى... ولأن الله ذكرها لنا في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ.

- وهل تعلم أن الله (يلعن) أقواماً؟

- ما معنى (لعنة الله)؟

- اللعن هو الإبعاد والطرد من الخير... و(لعنة الله)... هي طرد الله من يستحق الطرد من رحمته.. وهذه لا يملكها إلا الله عز وجل ولذلك نهى النبي ﷺ عن اللعن على شخص معين.. إلا إذا كان ممن لعنهم الله.. ومعظم ما ورد في كتاب الله.. لعنة الله على فئات من الخلق... عملوا أعمالاً استحقوا بسببها لعنة الله تعالى... استمع إلى هذه الآيات.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾ (البقرة).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ ﴾ (البقرة).

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾ (هود).

﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ

﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾﴾ (هود).

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ (ص).

وفي الأحاديث الصحيحة لرسول الله ﷺ:

«اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم، فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل» (صحيح).

«من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» (صحيح بشواهده)، وروي عن أنس مرفوعاً وزاد: لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً:قال والعدل الفرائض والصرف التطوع.

قال رسول الله ﷺ: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**».

وقال ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» (متفق عليه).

ومن حديث جابر قال: مر حمار برسول الله ﷺ قد كوي في وجهه يفور منخراه من دم فقال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من فعل هذا**»، ثم نهى عن الكي في الوجه والضرب في الوجه. (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من غير تخوم الأرض لعن الله من كمه الأعمى عن السبيل لعن الله من سب**» وفي رواية: «**عق والديه لعن الله من تولى غير مواليه – لعن الله من وقع على بهيمة – لعن**

الله من عَمِل عَمَلَ قوم لوط - لعن الله من عمل عَمَلَ قوم لوط لعن الله من عَمِل عَمَلَ قوم لوط» (السلسلة الصحيحة).

وعن سعيد بن المسيب عن عائشة قالت: لدغ النبي ﷺ عقرب وهو يصلي فقال: «**لعن الله العقرب لا تدع مصلياً ولا غيره، فاقتلوها في الحل والحرم**» (رواه ابن ماجه (الصحيحة).

قاطعني..

- هذه أول مرة أسمع لعن العقرب ولعن من يتوه الأعمى...

- هذه أعمال توجب لفاعلها لعنة الله... ينبغي أن يتجنب العبد الوقوع فيها... ومن فعلها ينبغي أن يتوب منها... ومن أقبح ما يصدر عن بعض الناس أن يلعن بعضهم مركبته أو اليوم الذي تزوج فيه أو ابنه... أو رجلاً مسلماً.. ففي الحديث.. عن ابن عباس: أن رجلاً نازعته الريح رداءه على عهد رسول الله ﷺ فلعنها فقال ﷺ: «**لا تلعن الريح فإنها مأمورة وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه**» (السلسلة الصحيحة).

صفات الله كلها جلال وكمال

– لقد تحدثنا سابقاً أن من صفات الله عز وجل أنه سبحانه «يحب» أقواماً... مثل المتقين، المحسنين، الصابرين، المقسطين المتحابين بجلاله... فهل يمكن أن نجعل من أسماء الله (المحب)... أو (الحبيب)؟!

– كلا... لا يمكن أن نشتق اسماً لله من صفة من صفاته ولكن العكس صحيح... بمعنى أننا نصف الله بصفة من صفاته بناء على اسم من أسمائه... فمن أسمائه سبحانه (السميع) فنصف الله سبحانه بـ(السمع) الذي يليق به سبحانه... ومن أسمائه (العليم)... فنصف الله بـ(العلم) الذي يليق به... ولا نسميه (العالم)... وإنما (العليم).. كما أخبرنا سبحانه وتعالى عن نفسه... ويمكن أن نصفه بأنه (عالم الغيب والشهادة) لأنه سبحانه أخبرنا بذلك...

فالقاعدة هنا أن أسماء الله تدل على صفات له سبحانه، أما صفات الله فلا نشتق منها أسماء له سبحانه... وكذلك لا نثبت ولا ننفي صفة لله عز وجل إلا بدليل صحيح من الكتاب أو السنة... وهكذا نثبت بإذن الله على الطريق الصحيح في باب أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى...

صاحبي (بومحمد)... حريص على تعلم تفاصيل الأمور... ومن أكثر رواد المسجد نقاشاً معي... وحديثنا – ولله الحمد – لا يخرج عن حوارات في قضايا العقيدة.. سألني.

– الآن وقد أثبتنا صفة (الحب) لله عز وجل.. هل يمكن أن نثبت بالمقابل

صفة (البغض) أو (الكره)... بمعنى إذا كان الله (يحب الصادقين).. فإنه (يبغض الكاذبين)..

- ليس بهذا المنطق... ولا بهذا السبب... وإنما نثبت صفة (البغض) و(الكره) لله عز وجل... بدليل .. فإذا ثبتت لدينا الصفة بدليل من كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ ... نثبتها لله عز وجل.

- وهل هناك أدلة من الكتاب والسنة في إثبات صفة (البغض) أو (الكره) لله عز وجل...

- نعم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (التوبة).

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ (محمد).

وقد ورد عن النبي ﷺ في هذه الصفة قوله ﷺ: «**إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**» (البخاري).

وأيضاً قوله ﷺ: «**أفضل الهجرة أن تهجر ما كره ربك عز وجل**» (حسن).

وقال رسول الله ﷺ: «**يا ابن أم عبد قم فاخطب**»، فقام ابن أم عبد فخطب الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إن الله عز وجل ربنا وإن الإسلام ديننا وإن القرآن إمامنا وإن البيت قبلتنا وإن هذا نبينا وأومأ بيده إلى النبي ﷺ .. رضينا ما رضي الله تعالى لنا ورسوله وكرهنا ما كره الله تعالى

لنا ورسوله، فقال النبي ﷺ: «**أصاب ابن أم عبد أصاب ابن أم عبد وصدق رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد**» (السلسلة الصحيحة).

وفي الحديث القدسي: «**قال الله تبارك وتعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه وإذا كره عبدي لقائي كرهت لقاءه**» (الصحيحة).

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ص: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» (متفق عليه).

فهذه الأدلة تثبت لله صفة (الكره) لبعض الأمور وبعض الأشخاص وكذلك صفة (السخط)... ونقول في هذه الصفة ما نقول في غيرها أن (الكره) في حق الله يليق بجلاله ولا يوصف بما يوصف به كره المخلوق.

– إن صفة (السخط) تقابلها صفة (الرضا)... لأني أحفظ دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك**»...

– أحسنت يا أبا محمد... نعم نثبت صفة (الرضا) لله عز وجل فإن الله يرضى عن أمور وعن أناس... وهذا ثابت في الكتاب والسنة... وأكثر من ورد ذكر الرضا في حقهم صحابة رسول الله ﷺ.

وإليك بعض الأدلة عن صفة الرضا...

قاطعني...

– هل (الرضا) بالألف الممدودة أو المقصورة التي تشبه الباء (الرضى).

– بناء على قواعد الإملاء هذه الألف تصبح ياء في الفعل الماضي (رضي)... لذلك تكتب بالألف المقصورة (رضى)... أظنها أصح...

ابتسم صاحبي...

- دعنا من درس الإملاء لنتابع موضوع العقيدة... الأدلة على إثبات صفة (الرضى) لله عز وجل...

- يقول سبحانه...

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾ (المائدة).

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ (التوبة).

﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ ﴾ (الفتح).

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢ ﴾ (المجادلة).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾ (البينة).

وفي الحديث، كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد:

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من إلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن إلتمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس والسلام عليك**» (صحيح لغيره).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد**» (صحيح لغيره).

وقال ﷺ: «**لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله عز وجل، لحقره يوم القيامة**» (صحيح).

وفي الحديث الصحيح: «**عليكم بالسواك فإنه مطيبة للفم ومرضاة للرب**».

وهنا قاعدة يجب أن يحفظها كل مسلم وهي أن الشر والنقص والعيب لا ينسب إلى الله عز وجل..

- هل لك أن تبين لي المقصود من هذه القاعدة بأمثلة؟!

- نعم... مثلاً يقول الله عز وجل:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (التوبة).

فلا ينبغي لعبد أن يقول في صفات الله (النسيان).. لأنها صفة نقص لا تليق بالله عز وجل.. وقال تعال: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ (طه)... فالمعنى هنا أن الله ينسى المنافقين أي يتركهم في العذاب... واللفظ من باب الجزاء من جنس العمل.. فقد نسوا أوامر الله... فتركهم في العذاب ولم يخرجهم منه...

وهكذا في جميع الصفات التي فيها نقص أو شر.. الشر لا ينسب إلى الله فمن دعاء النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**» صححه الألباني... فنقول ذلك في شرح قول الله تعالى:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ (الرعد).

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (النحل).

وكذلك... ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ (فاطر).

- أظن أنني أحتاج مزيد شرح في جلسة أخرى.

نفي صفات النقص عن الله عز وجل

– كعادتي كل عام زرت معرض الكتاب الذي أقيم في شهر نوفمبر... خرجت محملاً بمجموعة من الكتب لم يرهقني حملها رغم بعد المسافة التي قطعتها لأصل إلى مركبتي... تصفحت أحدها البارحة... (صفات رب العالمين) من تأليف ماهر مقدم... الطبعة السادسة قرأت المقدمة... ثم بضع ورقات من البداية... والوسط... والنهاية... ووضعته جانباً لأنني لم أفهم أكثر ما قرأت!!

– وما الذي لم تفهمه؟... لأن الكتاب جيد... علمي... ملتزم بالمنهج الصحيح... وفق الكتاب والسنة...

كنت وصاحبي (أبو إبراهيم)... نتحاور في الديوان الملحق بالمسجد.. بين العشائين...

– ربما لست من القراء الذين استهدفهم المؤلف... مثلاً...

أخذ صاحبي يقرأ من الكتاب الذي جاء به ليضعه في مكتبة المسجد وقفاً.

(التنزيه المفصل قد جاء بنفي أمور معينة مخصوصة ولأسباب كذلك اقتضاها لمنافاتها لكماله الواجب له سبحانه...).

ابتسمت...

– دعني أبيّن لك هذه القاعدة الجميلة في صفات الله...

– ما نفاه الله عز وجل عن نفسه... إنما هو لإثبات كمال ضده مثلاً..

يقول الله عز وجل: ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾ فنفى الله عن نفسه الموت... فنقول الله لا يموت... لإثبات كمال حياته... فمن أسمائه (الحي)... ومن صفاته الحياة الكاملة التامة التي تليق به سبحانه وتعالى... يقول عز وجل في آية الكرسي في سورة البقرة: ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾... فنفى عن نفسه (السِّنة) وهي النعاس... ومقدمات النوم... وكذلك نفى عن نفسه (النوم)... وذلك لكمال حياته وقيوميته... وذلك أن (النوم) نقص... و(النوم أخو الموت) كما في الحديث..

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ (ق)، واللغوب هو التعب والنصب والإعياء... فنفى سبحانه عن نفسه التعب من خلق السماوات والأرض... وذلك لكمال قوته سبحانه وقدرته عز وجل.. ويقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الأنبياء)، ويقول سبحانه: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾**﴾ (المؤمنون)... فنفى سبحانه عن نفسه (اللعب) و(العبث)... وذلك لكمال حكمته سبحانه.

وهكذا في جميع الآيات والأحاديث التي فيها نفي صفة عن الله... المراد من النفي إثبات كمال (ضد الصفة)...

- هل أستطيع أن أعطيك مثالاً من عندي لأري إن كنت فهمت ما قلت؟!

- نعم..

- يقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا

وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ (النساء).. في هذه الآية ينفي الله عن نفسه الظلم.. وذلك لكمال عدله عز وجل، هذه في الجزء الأول وفي الجزء الثاني كمال فضله..

– أحسنت... نعم هذا المراد من نفي بعض الصفات... وذلك أن مجرد النفي لا يعتبر مدحاً...

– جميل..

شاركنا المجلس (أبو مشعل)... وقد بقي ربع ساعة لأذان العشاء..

– تابعا حواركما... أنا مجرد مستمع سأحاول الاستفادة...

لنحاول أن نستذكر بعض الصفات التي نفاها الله عز وجل عن نفسه تطبيقاً لهذه القاعدة...

بدأت قبل صاحبي..

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ (الذاريات).

قاطعني صاحبي..

– هذه الآية واضحة... نفى طلب الرزق... لأنه سبحانه هو الغني الرزاق... ولكن اسمع قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ (الشمس)، نفى الخوف عن نفسه سبحانه لكمال قوته وقهره وإرادته عز وجل.

– أحسنت... ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا

﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة)، فنفى عن نفسه الاستحياء في الحق... وذلك لإثبات كمال حيائه... وأحقيته.. وبيانه وعدله.. وكما في الحديث: «**إن الله لا يستحي من الحق**» (رواه مسلم).

- هل لي أن أشارك... أظن أنني فهمت المراد... لم ينتظر (أبو مشعل) ردة فعلنا...

- يقول تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (آل عمران)، ينفي الله عز وجل عن نفسه إضاعة أجر المؤمنين... لإثبات كمال عدله وفضله ورحمته سبحانه وتعالى...

- ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ (آل عمران)... فنفى الله سبحانه قدرة أحد على ضره عز وجل... لإثبات كمال (عزته)... و(قوته)... و(عظمته) سبحانه وتعالى..

- لنذكر بعض الأحاديث التي تبين هذه القاعدة...

- في الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً قريباً وهو معكم**» (البخاري).

أثبت كمال سمعه وعلمه سبحانه وتعالى... وفي الحديث أيضاً... حديث المسيح الدجال: «**إن الله لا يخفى عليكم إن الله تعالى ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور، عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**» (متفق عليه)، وذلك لإثبات كمال عينيه سبحانه وتعالى..

دخل المؤذن.. ختمنا المجلس وقمنا.

(المكر والكيد والخداع)
صفات مقيدة في حق الله عز وجل

أهديت أحد رواد مسجدنا كتاب الشيخ (علوي السقاف).. صفات الله الواردة في الكتاب والسنة... بعد يوم واحد إلتقيته في طريقنا للخروج بعد أداء صلاة العصر سألته عن استفادته من الكتاب...

- بصراحة... شعرت أن الكتاب «دسم» جداً... ولم أستطع أن أقرأ منه أكثر من بضع ورقات... وجدته صعب الفهم.. واختلط عندي موضوع الأسماء بالصفات...

ابتسمت لتعليق صاحبي..

- ربما أخطأت بنصحي لك أن تقرأ هذا الكتاب لأنه يتطلب شيئاً من خلفيات شرعية..

- أظن أن معظم من يكتب في العقيدة... وخاصة في باب الأسماء والصفات ينسى أن معظم الناس ليس لديهم أساسات وقواعد فهم هذه المسائل... وخاصة إذا ذكروا القواعد بأسلوب علمي يناسب طلبة العلم الشرعي ولا يناسب عامة الناس...

- كلامك صحيح... ولكن دعني أبسط لك بعض القواعد في صفات الله عز وجل... أولاً... كل اسم من الاسماء الحسنى يدل على صفة لله عز وجل... ولكن العكس غير صحيح... بمعنى أن صفات الله لا نشتق منها أسماء لله عز وجل.. مثلاً من أسماء الله (السميع) فنصف الله

بـ(السمع) ، ومن صفات الله أنه (بديع السماوات والأرض) فلا نقول إن من أسمائه (المبدع)... وهكذا في كل اسم من الأسماء الحسنى وكل صفة من الصفات العلى.

- قاعدة سهلة مفهومة بهذه الكلمات وهذا المثال...

- وقاعدة أخرى.. أن جميع صفات الله عز وجل صفات كمال ولا نقص في أي صفة من صفات الله عز وجل... مثلاً قوله الله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنفال)، فإنه لا يوصف الله عز وجل (بالمكر المطلق)... ولكن بالمكر بمن يستحق ذلك... ومكر الله خير لبيان الحق... ولنصرة أهل الحق.. كما (الكيد) حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ (الطارق)..

وقوله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ (يوسف).

فإن (كيد الله) خير للحق... ولأهل الحق... ويسبق كيد الظالمين والكافرين.. فهي صفة كمال لله عز وجل... وكذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢).

فلا يوصف الله سبحانه وتعالى أنه (يخادع)... هكذا دون تقييد هذه الصفة أنه سبحانه (يخادع من يخدعه).. على جهة المقابلة... وهذه صفة كمال لله عز وجل... لأن من ظن أنه يخادع الله.. فقد أساء الظن بالله... واستحق أن ينال جزاء هذه الصفة... وإذا أردنا أن نشرح معنى

(أن الله خادع المنافقين)... نقول أن يتركهم ويملي لهم حتى يستمروا في غيهم وكفرهم مع بقائهم مع المسلمين يجلسون معهم... ويعيشون بينهم... حتى إذا كان يوم القيامة كانوا في (الدرك الأسفل من النار)... وأي خداع مستحق أعظم من ذلك!!!

- قاعدة جميلة... تزيل الشكوك التي قد يلقيها الشيطان في قلب بعض من لم يخلص إيمانه بالله... لقد تذكرت قول أحد الذين تركوا الإسلام وتحول إلى النصرانية - وسمعت ذلك بأذني في تسجيل له - يقول هذا المتنصر... (تنصرت لأن إله المسلمين يمكر ويخادع ويعذب في النار)... بالإضافة إلى أسباب أخرى ذكرها... ولو كان صادقاً في إيمانه عالماً بدينه لما قال هذا الكلام على الله عز وجل... سبحانه كما يقولون...

- ونستطيع أن نطبق هذه القاعدة بأن هذه الصفات التي وردت في كتاب الله أو سنة النبي ﷺ... كلها صفات كمال ووضعت في سياقها الذي وردت به...

- هل أستطيع أن أذكر بعض الأمثلة.. لبيان فهمي لهذه القاعدة... وصوبني إذا أخطأت...

- تفضل...

- نطبق هذه القاعدة في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ (البقرة).

- نعم أحسنت... هل يمكن أن تشرح هذه الآية..

- الاستهزاء.. هو السخرية.. والاستخفاف.. فالله يستهزئ بمن

يستحق أن يُستخف به.. وهؤلاء المنافقون وصفوا أنفسهم أنهم يستهزئون ويستخفون بالمؤمنين... فانتصر الله لعباده المؤمنين وأوليائه بأن قابل استهزاء هؤلاء باستهزاء منه.. سبحانه وتعالى...

- أحسنت.. ودعني أذكر لك كلام الإمام مجاهد... رحمه الله... في تفسير هذه الآية... (ويعطوَن النور جميعا - المؤمنون والمنافقون - فيطفأ النور من المنافقين ويفرق بينهم وبين المؤمنين).. وكذلك عندما يُدعى الجميع (المؤمنون والمنافقون) للسجود لله عز وجل يسجد المؤمنون ولا يستطيع المنافقون ذلك... تصبح ظهورهم طبقاً واحداً لا تنثني.. ﴿**يوم يدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾.. وهذا من أعظم الاستهزاء بعد أن ظنوا أنهم سيكونون مع المؤمنين لأنهم حشروا معهم..

- كلام جميل سهل يمكن لاي أحد أن يفهمه على خلاف ما نقرأ في كتب (الصفات)... فإن عامة الناس يقرءون بضع ورقات ثم يتركون الكتاب.. لكثرة الألفاظ المتخصصة.. والقواعد الدقيقة والكلمات الصعبة...

- الحمد لله.. وهذا الهدف أن نوصل العقيدة الصحيحة بألفاظ سهلة إلى عامة الناس... حتى يصححوا عقيدتهم بالله عز وجل ... فلله الحمد والمنة.

لا أصبَرَ على الأذى من ربنا

كانت إجازة نهاية العام أربعة أيام.. ابتداء من الجمعة... اتفقنا أن نخرج يوم السبت إلى الصحراء (البر) نقضي يوماً كاملاً بعيداً عن الحياة المدنية... استخدمنا أربع مركبات ذوات الدفع الرباعي... كان دليلنا (خالد) زوج ابنتي لأنه أكثرنا خبرة بأمور التخييم والرحلات البرية... بعد قرابة الساعة أدركنا المكان الذي يريد... أذنت لصلاة الظهر.. أدينا الصلاة... أعددنا المجلس... كنا بانتظار انتهاء طهي الغداء...

- هل يجوز أن نصف الله بـ(الصبر)؟!

- تعلمون أن القاعدة في أسماء الله وصفاته... أن نصف الله بكل ما وصف به نفسه... دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه... فما ثبت في القرآن أو السنة نؤمن به... كما جاء... ولقد ثبت في الحديث... قال رسول الله ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل.. إنه يُشرك به ويُجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم**» (البخاري ومسلم)... والصبر.. لغة هو نقيض الجزع...

علّق (أحمد)...

- و(الصبور) من أسماء الله الحسنى... لدينا مستشار قانوني اسمه عبدالصبور...

- من أين علمت أن (الصبور) من الأسماء الحسنى يا أحمد؟!

– هذا الاسم منتشر... ومعروف.. أنه من الأسماء الحسنى... وأرجو ألا أكون مخطئاً.

– بل أنت مخطئ.. ليس من أسماء الله الحسنى (الصبور) كما أن (المحيي) ليس من الأسماء الحسنى وكذلك (المحصي)... مع أن هذه الأسماء وغيرها منتشرة بين الناس... وكثير منهم يتسمى بـ(عبد المحيي) و(عبدالصبور)...

– استغفر الله ... وأتوب إليه.. حقاً ينبغي علينا تعلّم الأسماء الحسنى حتى نحسن التأدب مع الله..

– ولكن من صفات الله عز وجل (الصبر)... وصبره عز وجل يليق به سبحانه وليس كصبر البشر... وبيّن معناه الرسول ﷺ في الحديث الصحيح... فنثبت الصفة.. ونؤمن بها.. دون تشبيه... ولا نشتق من هذه الصفة اسماً... كما في جميع صفات الله عز وجل.. فسبحانه (يحيي ويميت).. دون شك... ولكن ليس من اسمائه (المحيي)... ولا (المميت)...

كان الحضور ينصت باهتمام...

– يبدو أنه من الأفضل لنا ألا نستعجل في هذا العلم لأنه يتعلق بالله عز وجل... والخطأ فيه محظور...

– هل هناك صفة أخرى لله ربما لا نعرفها... تبينها لنا..

– من صفات الله (الغيرة)...

– الغيرة؟ قالها أحمد مستغرباً...

– نعم (الغيرة)... ولكن ليس كغيرة البشر... وذلك أن القاعدة أننا نصف الله بما وصف به نفسه... دون تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل... كما يليق بجلاله وعزته سبحانه وتعالى... ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي المرءُ ما حرم الله عليه**» (متفق عليه)، وفي رواية البخاري: «**لا شيء أغير من الله**»... وفي حديث آخر قال ﷺ: «**يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمتُه**»...

وعن المغيرة بن شعبة قال: بلغ رسول الله ﷺ أن سعد بن عبادة يقول: «بعد أن بلغه طلب الشهود في واقعة الزنا»...: لو وجدت معها رجلاً لضربتها بالسيف غير مصفح.. فقال رسول الله ﷺ: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ أنا أغْيَر من سعد والله أغْيَر مني ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغْيَر من الله ولا أحب إليه المعاذير ولذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب إليه المدح من الله ولذلك وعد الجنة**» (مسلم).

– سبحان الله.. والله ما كنت أعلم أنه يجوز أن نصف الله بالغيرة..

– لذلك ينبغي أن يتعلم المرء صفات الله من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وهذا أشرف العلوم... لأنه متعلق برب العزة سبحانه وتعالى:

– هل لك أن تشرح لنا زيادة في (غيرة الله) عز وجل؟!

– نعم.. (غيرة الله) من صفاته سبحانه الفعلية لأنها متعلقة بسبب ... وبالطبع عندما ضرب الرسول ﷺ مثلاً... أنه (أغير) من سعد بن معاذ...

وأن الله أغير منه ﷺ ... فليس للمقارنة.. لأنه لا مجال لمقارنة صفات الله... بصفات أي أحد من الخلق حتى رسول الله ﷺ وإنما للبيان... وغَيرةُ الله تتضمن البغض والكراهة لما يغار منه والحديث جمع بين ما يبغضه الله.. وما يحبه.. فإنه سبحانه يكره ويبغض الفواحش والقبائح ويحب اعتذار العبد وأسفه وندمه ويقبل منه الاعتذار والندم... فإن فعل العبد ذلك لم يؤاخذه على وقوعه فيما يكره سبحانه وتعالى... فالمعنى... أن الله عز وجل يغار على خلقه من المفسدين... ولذلك حرم الفواحش وشرع أشد العقوبات حفاظاً على خلقه... وردعاً للمفسدين.. حتى لا تقع الفواحش بين خلقه.. سبحانه وتعالى.

الله نور السماوات والأرض

منذ ثلاثة أشهر انتقل إمام مسجدنا إلى منطقة أخرى لمسكن جديد.. بعد أن قضى معنا أكثر من خمس وعشرين سنة...

أدينا صلاة الجمعة معه في مسجده الجديد... لاحظنا أنه اختصر وقت الخطبة إلى أقل من خمس عشرة دقيقة!!!

بعد الصلاة.. أصر علينا أن نزوره في منزله... جلسنا في حديقة المنزل المطلة على طريق رئيس...

- نرى أن الخطبة أصبحت قصيرة...

قالها (بوناصر) مازحاً... ابتسم شيخنا ولم يرد...

كان موضوع خطبته... تدبر آيات القرآن التي فيها صفات الله عز وجل... سأل (بوخالد).

- في (آية النور)... الله نور السماوات والأرض...

أخذ يقرأ الآية من هاتفه النقال... هل نستطيع أن نقول إن من صفات الله أنه (نور السماوات والأرض) وأن من أسمائه (النور)...

- أولاً ... لا يمكن أن نشتق من هذه الآية اسم (النور) لله عز وجل فليس من الأسماء الحسنى (النور)... ثانياً... نعم من صفات الله عز وجل أنه (نور السماوات والأرض).... ولكن يجب أن نفهم المعنى... وذلك أن كل نور حسي أو معنوي في السماوات والأرض فإنما هو من الله عز

وجل... فمعنى نور السماوات والأرض... أي (منورهما)... بكل أنواع النور سبحانه... ثم في هذه الآية يعطى الله مثالاً حسياً لنوره في قلب المؤمن... المشكاة... أي ا لتجويف أو (الكوة)... التي فيها مصباح يوقد من أنقى زيت... نور الإيمان مع نور الهداية... والتوفيق... (نور على نور)... الذي يمنُّ به على من يستحق من عباده بعلمه... سبحانه وتعالى... وتنتهي الآية باسم من الأسماء الحسنى وهو (العليم) سبحانه وتعالى.

- حقاً يحتاج المرء أن يتدبر هذه الآيات...

- بصراحة لم أكن أعلم معنى (نور السماوات والأرض)...

- وماذا عن (بديع السماوات والأرض)؟

- ورد هذا اللفظ في آيتين من كتاب الله..

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾ (البقرة).

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ (الأنعام).

ومعنى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ مبدعهما... أي موجدهما لا على مثال سابق... وهذه من صفات الله عز وجل وليس من أسمائه (المبدع).. عز وجل..

- تحضرني آية أخرى في ذات السياق.. وهي قوله سبحانه وتعالى..

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾.

– هذه من سورة يوسف.. وهذه الصفة لله وردت ست مرات في كتاب الله.. وهي:

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾ (الأنعام).

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ ﴿يوسف).

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ (إبراهيم).

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾ (فاطر).

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى).

وهنا ينبغي أن نعرف المعنى... حتى نكون على بينة من هذه الصفة العظيمة لله سبحانه وتعالى... فمن يخبرنا بمعنى (فاطر)...

سكت الجميع... فابتسم شيخنا وقال...

- اسمعوا إذن...

- فطر الشيء.. شق الشيء فأوجده... والمعنى.. ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ منشئهما بالتركيب الذي سبيله أن يحصل فيه الشق والتأليف عند ضم الأشياء إلى بعض... كما في قوله تعالى... ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ (الأنبياء).

فمن صفات الله عز وجل: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾... وليس من أسمائه (الفاطر)... ومن صفاته عز وجل أنه (يُطعِم ولا يُطعَم).. وليس من أسمائه (الطاعم)... ومن صفاته أنه ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾... سبحانه وتعالى... وليس من أسمائه (الجاعل).. ومن صفاته سبحانه ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ وليس من أسمائه (العالم)... وإنما (العليم)... ومن صفاته أنه (علام الغيوب)... كما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ (المائدة)...

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾ (التوبة)... وليس من أسمائه (العلاَّم)... بل (العليم) سبحانه وتعالى.

- ملاحظات جميلة... ينبغي أن ينتبه لها المسلم وهو يقرأ كتاب الله عز وجل..

مشيئة الله عزَّوجلَّ

- هل نستطيع أن نصف الله بـ(نسيان الكافرين) استشهاداً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤﴾ (الجاثية).

وقوله سبحانه: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ (السجدة).

وقوله: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ (التوبة).

- نعم.. نستطيع أن نذكر هذه الآيات بأن الله ينسى المنافقين والكفار يوم القيامة... جزاء نسيانهم (تركهم) أوامر الله.. واليوم الآخر.. وينبغي أن نبين معنى النسيان... وذلك أنه - أي النسيان - يأتي بمعنيين.. الأول.. الذهول عن الشيء.. مع الرغبة بتذكره.. والثاني.. ترك الشيء عن عمد.. رغم العلم به وحضوره... والمعنى الأول منزه عنهُ رب العالمين.. والثاني هو الثابت في حق الله.. فإن الله يتركهم (ينساهم) رغم علمه بهم سبحانه جزاءً وفاقاً.. وجزاهم.. بنسيان أوامره.. نسياناً يخلدهم في نار جهنم.. ولذلك نذكر هذه الصفة لله مقيدة بمن يستحقها.. أما عند الإطلاق فإننا ننفي النسيان عن الله عز وجل... كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾ (مريم).

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ (طه).

وفي الحديث قال ﷺ: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال... وما حرم فهو حرام.. وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله العافية فإن الله لم يكن نسياً**». (السلسلة الصحيحة).

هكذا بدأ حواري مع صاحبي ونحن في طريقنا لزيارة إخواناً اتخذوا مخيماً في جنوب البلاد... منذ بداية موسم (التخييم).. شهر نوفمبر..

هاتفهم صاحبي ليتأكد من موقع المخيم... لأنني كنت خلف المقود...

-وماذا عن صفة (الإضلال)؟

- تعني قول الله...

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (البقرة).

وقوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ (الرعد).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (النحل).

وقوله عز وجل: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ (فاطر).

وآيات أخرى لا تحضرني الآن...

- لنرجع إلى القاعدة الأولى في صفات الله عز وجل... وهي أن صفات الله جميعها صفات كمال.. وفضل.. وجمال .. ومجد.. لله عز وجل ليس فيها صفة نقص... على الإطلاق... وما ينزه عنه العبد، فالمعبود أولى بالتنزيه عنه... وهكذا نفهم جميع الصفات التي قد يتبادر إلى ذهن بعضنا أنها لا ينبغي أن تنسب إلى الله عز وجل...

- هل لك أن تطبق هذه القاعدة وتوضح المعنى؟

- في الآيات التي ذكرتها... يخبر الله عز وجل أنه ﴿لا يضل إلا الفاسقين﴾... وأنه سبحانه ﴿يضل من يشاء﴾...

وهذه الحالة الثانية ترجع إلى الأولى.. وذلك أن مشيئة الله سبحانه وتعالى مبنية على العلم والحكمة... فمن يضله الله عز وجل إنما هو جزاء منه سبحانه لمن اختار طريق الضلال... وبهذا يمكن فهم جميع الآيات التي تخبر عن هذه الصفة لله... وفي المقابل ﴿يهدي الله من يشاء﴾... أيضاً بعلمه وحكمته وأن هذا العبد اختار طريق الهداية فيسره الله له... وزاده منه... فضلاً منه عز وجل...

- ولماذا ذكر الله عز وجل المشيئة... قصدي ﴿من يشاء﴾ في الحالتين؟!

- سؤال جيد... تعلم أن لا شيء يقع في الكون إلا بمشيئة الله... فمن

العدل أن يأذن الله لكل عبد أن يختار ما يشاء... واختيار العبد... يقع ضمن مشيئة الله... وذلك لو تدخلت مشيئة الله وأراد أن يجعل الخلق جميعاً مؤمنين لأصبحوا مؤمنين... كماقال تعالى... ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (المائدة: ٤٨).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأنعام).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنعام).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (النحل).

وأخيراً: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ (الشورى).

وهكذا نفهم مشيئة الله.. سبحانه وتعالى.. وأنها تكون ضمن علمه وحكمته وعدله وفضله... وغير ذلك من صفات الكمال له سبحانه وتعالى.

- نعم.. أصبحت الصورة واضحة.. ومثلها قوله سبحانه: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ (البقرة)... فمغفرته سبحانه وتعذيبه عز وجل ليس عشوائياً ولا يظلم ربك أحداً... عذابه عدل.. ونعيمه فضل.. سبحانه.

- أحسنت يا أبا ناصر.

مشيئة الله عزَّوجلَّ (٢)

في قرءاتنا اليومية من كتاب فتاوى الإسلام للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – كان السؤال عن الأمور التي ينبغي أن تعلق بالمشيئة والتي لا ينبغي أن تعلق بالمشيئة... فكان جوابه – رحمه الله – الأمور المستقبلية ينبغي أن تعلق بالمشيئة، أما ما وقع في الماضي فلا... (بتصرف)... بعد الدرس الذي لم يتعدّ عشر دقائق.. صاحبني (بومحمد)... وصديقه المصري (أبو فاطمة)... وينادونها (بطة)...

– إخواننا المصريون يستخدمون (إن شاء الله)... في جميع الاحوال.. تسأله إن كان قد صلى... يقول نعم إن شاء الله.. تسأله إن كان زار فلان يقول نعم إن شاء الله..

اعترض (أبو فاطمة) مبتسماً..

– ليس جميع المصريين يا أبا محمد.

– مشيئة الله وإرادة الله من الأمور التي تختلط على كثير من المسلمين مع أن الموضوع سهل ويمكن تعلمه بدقة..

– هل لك أن تبسطه لنا..

– نقول إن لله إرادة كونية وإرادة شرعية أو مشيئة كونية ومشيئة شرعية... أما الإرادة الكونية تقع لا محالة ولا خيار للعبد فيها... وهي ما قدره الله بعلمه وحكمته... ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (يس)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ (هود).. فلا أحد يخرج أو يخالف إرادة الله الكونية.

والإرادة الثانية هي إرادته الشرعية.. وهي الأوامر الشرعية التي أمر الله بها عباده... فالله سبحانه يريد منا أن نصلي... ومنا من يصلي ومنا من لا يصلي... والله عز وجل يريد منا أن نتجنب المعاصي... فمنا من يتجنب المعاصي ومنا من يقع فيها...

وعقيدة أهل السنة أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.. وهذا في المشيئة الكونية...

علّق (أبو محمد)...

- هذا الكلام أكبر من عقول بعض الناس... نريد أن نبسطه... حتى يفهمه الجميع... حتى الذين لا يتكلمون العربية بطلاقة...

- سأحاول إن شاء الله...

- إذا قام العبد بطاعة الله... مثلاً صلَّى أحدنا... فإنه وافق إرادة الله الكونية والشرعية... وإذا أعرض أحد عن الصلاة فإنه ضمن إرادة الله الكونية ولكن خلاف إرادة الله الشرعية... فالمعاصي لا تقع (رغماً عن الله)... وإنما أذن الله لها أن تقع... وهذا واضح في آيات كثيرة من القرآن... مثلاً... يقول تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأنعام).

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنعام).

ويقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ (الأنعام).

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (النحل).

وآيات أخرى تبين أن الله أذن للشرك أن يقع وللمعاصي أن ترتكب.. مع أنه لا يحبه ولا يرضاه ولا يريده إرادة شرعية... ولكنه ضمن إرادته الكونية... سبحانه...

- هل هذا يدخل ضمن الجدل.. هل (الإنسان مخيّر أم مسيّر)؟

- نحن هنا نتحدث عن صفة من صفات الله عز وجل وهي (الإرادة أو المشيئة)... أما العبد فله المشيئة... وفي بداية الأمر... وقبل التكليف... أعطى الله الخيار للسماوات والأرض والجبال... فرفضن حمل التكليف... وارتضت جميع هذه المخلوقات... بل جميع المخلوقات - عدا الإنس والجن - ارتضت سلب إرادتها ... ورضيت ألا يكون لها قدرة على معصية الله... وبذلك سقط عنها الحساب... واحتمال نيل الجنة... أما الإنسان فرضي حمل الأمانة والمحاسبة على أن ينال الجنة والنعيم... ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب).

ومشيئة الإنسان ذُكرت في كتاب الله... مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ (الكهف).

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ (المزمل).

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ (النبأ).

فأعطى الله للعبد حق اختيار ما يريد مع بيان جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين... فالعاقبة ليست سواء.. والأمر ليس حرية شخصية لأن بعدها حساب وعذاب.

- وماذا عن قول الله تعالى... في سورة (الكافرون): ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

- هذه الآية فيها براءة من دين الكافرين، وليس فيه إقرار لهم على دينهم .. ففي بدايتها... ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾، وتعلم أن سبب نزول هذه السورة أن كفار قريش عرضوا على رسول الله ﷺ أن يعبدوا الله سنة ويعبد هو آلهتهم سنة... فأتى الأمر من الله أن لا مساومة في عبادة الله.. وتوحيد الله عز وجل... وهذه السورة تسمى (البراءة)... و(الإخلاص الثانية).. وفي الحديث: «**قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن**» (حسنه الألباني).

يهدي من يشاء

استكمالاً لحوارنا السابق أن صفات الشر والنقص والضر لا تنسب إلى الله عز وجل... بل صفاته جميعها صفات كمال ومجد وعز وخير تليق بجلاله سبحانه وتعالى... فكيف نفهم بعض الآيات مثل قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يونس).

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (النمل).

وقوله: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف).

وأخيراً: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (التوبة).

وآيات أخرى لا تحضرني الآن.

– لنحصر ما ورد من صفات في هذه الآيـات... (المكر – الكيد – الإضلال – النسيان).. هذه إذا أطلقت فإنها صفات نقص لاتليق بالمخلوق، فمن باب أولى لا تليق بالخالق سبحانه وتعالى، ولو تدبر المرء الآيات وقرأ معانيها وتفسيرها لفهم المراد منها، وأنها صفات كمال، حيث وردت في حق الله عز وجل..

– لقد ذكرتني برجل عراقي ترك الإسلام ودخل النصرانية زاعماً أن إله المسلمين يكيد وينتقم ويخادع ويعذب ويضل... لذلك ترك الإسلام.

– هذا جاهل جهلاً مركباً... عليه من الله ما يستحق.. لنرجع إلى حديثنا..

الآية من سورة الأنفال... أولاً.. (المكر) هو التخطيط بالخفاء للنيل من الخصوم وهنا يبين الله أن الكفار كانوا يخططون لقتل النبي ﷺ أو سجنه أو طرده... والله يعلم تخطيطهم فقابلهم بتخطيط... كله خير للرسول ﷺ وللخلق جميعاً، وأنجى رسوله ﷺ بهذا التخطيط الإلهي الخير.. وهكذا في الآية الأخرى... فالمكر في حق الله تخطيط للخير للجميع... وجاء هذا اللفظ مقابل (مكر) الأشرار... وهنا أذكر قول الله تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ (النساء).

فالنفاق الأكبر (الاعتقادي)... هو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر... لخداع المؤمنين.. والاختلاط بالمؤمنين والنجاة من حدّ الكفر... والله عز وجل يعلم كل ذلك منهم.. ويتركهم.. فلا حدّ يقام عليهم في الدنيا... ولا

يقاتلون... ولكنهم يوم القيامة ﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ (النساء).

أليس هذا أسوأ شيء يمكن أن يحصل للإنسان.. أن يُترك يفعل ما يشاء... ثم يُردّ إلى أشد العذاب... فهذا هو المعنى... ولاحظ أن هذه الصفات إنما تكون مع من يستحقها فهي محدودة في هذه الفئات.

- وماذا عن الإضلال... ﴿فإن الله يضل من يشاء﴾؟!

- الآيات نفسها تفسر المعنى... وذلك أن الله يهدي من يبذل أسباب الهداية... حتى لا يغتر العبد بعبادته بل يسأل الهداية من الله عز وجل وحتى بعد الهداية يسأله الثبات على الدين كما في حديث النبي ﷺ... عن أم سلمة رضي الله عنها: كان أكثر دعائه ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك» السلسلة الصحيحة... فالمعنى في هذه الآية وغيرها من الآيات أن من لم يبذل أسباب الهداية يتركه الله لاختياره... فالذي يتبع الهوى... والذي يرى أن حاله أفضل مما جاء به الرسول ﷺ والذي يتعلق بما ورثه عن آبائه وأجداده ولا يريد أن يتعلم شيئاً مما جاء من عند الله.. وغيرهم.. هؤلاء يتركهم الله لاختياراتهم وسوف يحاسبهم على أعمالهم يوم القيامة.

أما من يبذل أسباب الهداية... يوفقه الله إليها... وكل ذلك بمشيئة الله... لا يقع شيء في الكون رغماً عن الله عز وجل.. فهنا أثبتنا اختيار العبد.. ومشيئة الله.. وهذا هو المنهج الصحيح والعقيدة السليمة في هذه القضية.. لم يُخْفِ صاحبي ارتياحه..

- كلام جميل سهل مقنع... يفسر جميع الآيات... والحمد لله..

- القاعدة التي يجب أن تكون حاضرة عند كل عبد... أن صفات الله جميعها صفات كمال ومجد وعز... لا نقص فيها ولا شر فيها، بل كل ما ينسب إلى الله خير... سبحانه وتعالى.

القول في جميع الصفات... واحد

- لا ينبغي لمسلم أن يؤمن بصفات لله عز وجل وينفي أخرى بناء على قبول عقله لتلك الصفات.. وعدم قبوله لهذه الصفات..

- هل لك أن توضح كلامك... وتخصص أو تبينه بأمثلة...

كنت و(أبو إبراهيم) مؤذن مسجدنا جالسَيْن في استراحة الإمام بانتظار الكهربائي لتعديل بعض مفاتيح الإنارة الداخلية للمسجد...

- مثلاً... لا أحد ينكر صفة (السمع) لله عز وجل وأن (سمعه) سبحانه وتعالى... يليق بجلاله لا يشبه سمع المخلوقين... وأنه سبحانه يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء... وثبت في كتاب الله أنه سبحانه يسمع (كل شيء).

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ (المجادلة).

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝١٨١﴾ (آل عمران).

فلا ينكر أحد صفة (السمع) لله... ولكنهم ينكرون صفة (نزول الله) إلى السماء الدنيا أو صفة (اليد) لله.. أو صفة (الأصابع).. لأن عقولهم لا تقبل رباً له (يدان)... أو له (أصابع).. أو له (وجه).. وذلك أنهم يتخيلون

هذه الصفات كما هي للمخلوق فينفونها عن الله عز وجل.. مع أن القول في جميع الصفات واحد... وهو:

(نثبت لله ما أثبته لنفسه في القرآن أو السنة دون تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل)... وجميع صفاته تليق بعظمته وجلاله ولاتشبه صفات المخلوقين.. فعلمه لا يشبه علم المخلوقين.. وقوته لا تشبه قوة المخلوقين.. وسمعه لا يشبه سمع المخلوقين... ووجهه سبحانه لا يشبه وجه المخلوقين ويداه لا تشبه أيادي المخلوقين... وأصابعه لا تشبه أصابع المخلوقين... ونزوله لا يشبه نزول المخلوقين ومجيئه لا يشبه مجيء المخلوقين وبطشه لا يشبه بطش المخلوقين... وهكذا في جميع الصفات... طالما أخبرنا الله عن صفة من صفاته لا يحق لنا أن ننكرها أو نتأولها أو نشبهها.. بل نؤمن بها كما جاءت... لأن ذلك من الإيمان بالله..

- هذا علم جديد بالنسبة لي...

- أنت - زادك الله علماً - متخصص في القراءات وتحفيظ القرآن بالقراءات السبع... وتمنح إجازات في حفظ القرآن... وهذه نعمة عظيمة... ومع ذلك ينبغي أن تعرف هذه القواعد العامة في باب صفات الله عز وجل...

- صدقت... وهي قاعدة سهلة ميسرة... ويمكن لأي أحد أن يفهمها ويطبقها... تعال نطبقها على صفة من صفات الله...

- أذكر لي آية فيها صفة (الساق) لله عز وجل..؟!

- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (القلم).

- أحسنت ويمكن أن نذكر حديث النبي ﷺ الذي يبين هذه الآية... قال ﷺ: «**حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيُقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنا سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم**» (البخاري).

- وما المانع أن نقول إننا نثبت لله ساقاً تليق بجلاله لا تشبه ساق المخلوقين... فلا ننكر ولا نشبه ولا نـأول... فقد كفانا الرسول ﷺ بيان المعنى بما أوحى إليه رب العالمين سبحانه وتعالى...

- نعم هذه هي العقيدة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ومن سار على هديهم..

في تفسير (فتح القدير)... «يكشف ربنا تبارك وتعالى عن ساق عظيمة جلّت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه فتنكير (ساق) في الآية للتعظيم والتفخيم».

– وماذا ورد في تفسير (الكرسي)... في قوله تعالى... ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (البقرة)؟!

– أظنك تعلم أن أفضل التفاسير ما فُسر بالآيات ثم ما فُسر بأحاديث النبي ﷺ.

– نعم..

– ثبت في صحيح البخاري ومسلم... عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط...**».

أما في تفسير (الكرسي).. فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ... الكرسي: موضع القدمين.

وكما هي القاعدة عند طلبة العلم أنه لا مجال للقول بالرأي في هذه القضايا الغيبية فقول ابن عباس وأبي موسى له حكم المرفوع إلى الرسول ﷺ... أي كأنه حديث عن رسول الله ﷺ.

– مرة أخرى ما المانع أن نقول إن لله قدمين تليقان بجلاله لا تشبه أقدام الخلق... فلا نأول هذه الصفة لله عز وجل!

– إن خطورة عدم إثبات هذه الصفات لله عز وجل... هو التعدي على الله... وعدم تحقيق الإيمان بالله... كما يريد ربنا ويرضى... لقد أراد الله أن يبين لنا بعض صفاته... وهو أعلم بنا.. وأعلم بما نستطيع أن نحققه سواء في العقيدة أو العبادة أو المعاملة.. أو غير ذلك... فأخبرنا الله في القرآن وبوحي

إلى رسول الله ﷺ عن بعض صفاته... وبعض أسمائه... فلا ينبغي لنا أن ننكر اسماً من أسمائه الحسنى التي أعلمنا إياها... ولا ينبغي أن نضيف له سبحانه وتعالى اسماً لم ينزله إلينا في القرآن أو السنة... وكذلك لا ينبغي لنا أن ننكر صفة من صفاته... كما لا ينبغي لنا أن نصفه بما لم يصف به نفسه عز وجل... هذه الأمور اختص الله بها... ويجب علينا الإيمان بها استسلاماً.. دون أن نعمل عقولنا في قبولها أو ردها... وإلا فقد قصّرنا في تحقيق الإيمان بالله الذي هو أول أركان الإيمان...

يتكلم ربنا سبحانه
بما شاء متى شاء

بعد الانتهاء من الندوة والعشاء الخفيف اقترب مني شاب وعلق على حديث نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا... بأننا نستطيع أن نستشهد بهذا الحديث لإثبات صفة الكلام لله عز وجل... سألني..

- وهل هناك من ينكر (أن الله يتكلم بما شاء متى شاء)!!

- نعم... فرق كثيرة تنكر هذه الصفة لله عز وجل... وذلك أنهم قالوا إن كلام الله ... يستلزم كذا وكذا وكذا... والله عز وجل مقدس عن هذه الأمور...

- وكيف يمكنهم ذلك والله عز وجل يقول في محكم تنزيله...

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ (النساء)، وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ (الأعراف)، وقال سبحانه: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾ (الشورى)، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ (طه)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ (طه).

والأحاديث في إثبات كلام الله عز وجل كثيرة يحضرني منها...

– عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبرائيل فقال إني أحب عبدي فأحبوه... فينوه بها جبرائيل في حملة العرش فيسمع أهل السماء لغط حملة العرش فيحبه أهل السماء السابعة ثم سماء سماء حتى ينزل إلى السماء الدنيا ثم يهبط إلى الأرض فيحبه أهل الأرض**».

وكذلك الأحاديث القدسية التي يحدث فيها رسول الله ﷺ عن رب العالمين... مثلاً..

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين فيّ وللمتجالسين فيّ وللمتزاورين فيّ وللمتباذلين فيّ**» (صحيح).

وفي الحديث الآخر: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**» (صحيح).

«**قال الله تعالى: إذا قبضت من عبدي كريمته وهو بها ضنين لم أرض له ثواباً دون لجنة؛ إذا حمدني عليها**» (حسن). (كريمته: بصره).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**» (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك**» (متفق عليه).

شاركنا المجلس اثنان من الحضور... بيد كل منهما «استكانة» شاي.. جلسا مستمعين.

- والقرآن كله كلام الله... تكلم به حقيقة.. وسمعه جبريل عليه السلام... ونقله إلى محمد ﷺ... لا أدري لماذا لا يتأدب البشر مع ربهم... ويتوقفوا عن التقوّل عليه سبحانه... فلا يَصِفوه بما وصف به نفسه... ولا يقولوا بما قال به هو سبحانه وتعالى...

- هؤلاء القوم أرادوا أن ينزهوا الله عز وجل عن مشابهة المخلوقات... فنفوا عنه بعض الصفات التي أثبتها لنفسه سبحانه... ولم يلتزموا بما جاء عن النبي ﷺ... وأن صفات الله عز وجل لا مجال فيها للاجتهاد... وإنما هي توقيفية... نتعلمها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ... ومن لم يسلك طريق الرسول ﷺ والصحابة في هذا الباب ضلّ وما عرف الله حق معرفته... فنقول في صفة الكلام لله عز وجل كما نقول في صفة العلم لله عز وجل... وكما نقول في صفة القدرة لله عز وجل... وكما نقول في صفة السمع لله عز وجل: (إن الله يتكلم كلاماً يليق بجلاله لا يشبه كلام المخلوقين... يتكلم بما شاء متى شاء... كلاماً مسموعاً يُسمعه من شاء سبحانه... ولقد كلم الله نبيه موسى كلاماً سمعه موسى عليه السلام... فقد سمع موسى قول الله تعالى... ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾)... وسمع قول الله تعالى: ﴿أَلْقِهَا

يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.. فألقى عصاه امتثالاً لأمر الله تعالى.. وسمع قول الله تعالى ﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾... فأمسك الحية فصارت عصاه التي ألقاها... كل هذا الحوار حصل على الحقيقة مع موسى – عليه السلام – فلقد اصطفاه الله بكلامه له مباشرة... وهذا ثابت في كتاب الله... ويتكلم الله مع ملائكته... ويتكلم يوم القيامة سبحانه... كلاماً يليق بجلاله عز وجل وينادي أصحاب الجنة... (سلام)... حقيقة ويسمع أهل الجنة هذا الكلام... إننا نؤمن بكل ذلك ونعرف ربنا بهذه الصفة التي أخبرنا عنها سبحانه... فمن أنكرها لم ينعم بهذه النعمة العظيمة التي هي معرفة الله عز وجل كما يحب ربنا ويرضى... فإن القلوب لن تجد ألذ ولا أنعم ولا أحسن من التعرف على الله بأسمائه وصفاته سبحانه وهذه أعظم وسيلة للتقرب إلى الله يحبها الله... ويحب من يحبها ويحب من يستعملها ويبحث عن معانيها ويتعبده بها سبحانه وتعالى..

معتمدنا في كل ذلك اتباع النبي ﷺ... فنصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ولا نتعدى ولا نتجاوز ولا نلحد في أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى.

ربنا يكلم الملائكة

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان... والمسلم يتعامل مع الملائكة في جميع أحواله... لأنه يؤمن بأن هذا الخلق... قريب من الله... مستجاب الدعوة... لا يأتي منه إلا خير... فيمكث في مصلاه بعد أن يقضي فريضته لأنه يعلم أن هناك ملائكة تدعو له (اللهم اغفر له اللهم ارحمه)... ويقرأ آية الكرسي قبل نومه لأنه يعلم أنه بذلك ينال ملائكة تحرسه حتى يستيقظ... ويذكر الله عند خروجه يرجو الكفاية والهداية والحفظ... يحرص على معية الملائكة ودعائهم له...

- هل تعلم أن المؤمن يكون موضوع حوار بين الله والملائكة في أمور كثيرة؟

- ماذا تعني... بـ(موضوع حوار)؟!

كنت وصاحبي في طريقنا لتهنئة أحد رواد المسجد بمناسبة زواج ابنه.. احتسبنا الأجر منذ خرجنا...

- تعرف حديث مباهاة الله الملائكة بعباده يوم عرفة...

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة السماء فيقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثاً غبراً اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج...**».

وفي رواية: «**إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل عرفة**

يقول: هؤلاء عبادي جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني»؟.

- ينبغي على العبد أن يستحضر هذا الحديث يوم عرفة...

- إن ذَكَره فخير... وربك لا يضيع أجر أحدٍ أبداً...

بلغنا مكان الحفل... ترجلنا... قدمنا التهنئة لصاحبنا وابنه ووالد العروس... أخذنا حاجتنا من الطعام... جلسنا في مكان منعزل بعض الشيء... تابعنا حوارنا...

- وحديث حلقات الذكر...

- نعم... أحب هذا الحديث هل تذكر نصّه؟!

- الحديث متفق عليه... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم» قال: «فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا»، قال: «فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟» قال: «يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك» قال: «فيقول: هل رأوني؟» قال: «فيقولون: لا والله ما رأوك»، قال فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: «فيقولون: لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادة وأشدّ لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً» قال: «فيقول: فما يسألون؟ قالوا: يسألونك الجنة» قال: «يقول: وهل رأوها؟» قال: «فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها»، قال: «فيقول: فكيف لو رأوها؟» قال: «يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة قال: فمم يتعوذون؟» قال: «يقولون: من

النار» يقول: فهل رأوها»؟ قال: يقولون: «لا والله يا رب ما رأوها» قال: «يقول: فكيف لو رأوها»؟ قال: «يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة»، قال: «فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم» قال: «يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم» (رواه البخاري).

– حديث جميل... لو تذكره الناس لما آثروا شيئاً من مشاغل الدنيا على مجالس الذكر.

– صدقت... وهنا ينبغي أن نثبت هذا الحوار بين الله عز وجل والملائكة... وهذه من صفات الرب عز وجل التي يجب أن نؤمن بها...

– وماذا عن حديث اجتماع الملائكة في صلاتي العصر والفجر؟!

– نعم... هذا حديث آخر... فيه حوار بين الله عز وجل والملائكة... وهو حديث متفق عليه أيضاً... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهو يصلون وأتيناهم وهو يصلون**».

– الحمد لله.. أرجو أن أكون في هؤلاء فهاتان الصلاتان لا أفوتهما في جماعة بفضل الله..

– بل بفضل الله لا تفوِّت أي صلاة من الصلوات الخمس في جماعة.

– الحمد لله... وماذا عن حديث مناداة الله جبريل إذا أحب عبداً..

– نعم.. في صحيح الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إني قد أحببت فلاناً فأحبه فينادي جبريل في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه... ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض... فذلك قول الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ (مريم).

وهناك أحاديث أخرى في بيان بعض الحوارات بين الله عز وجل والملائكة... يحضرني منها الآن حديث من يموت ابنه...

والحديث في صحيح الترغيب والترهيب... عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم... فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم... فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد**».

وأحاديث أخرى كثيرة يخبرنا فيها الرسول ﷺ أن الله (يقول)... فنؤمن بأن الله سبحانه وتعالى تكلم حقيقة بهذه الكلمات ومنها...

عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال (له) رسول الله ﷺ:

«**أبشر، إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، ليكون حظه من النار في الآخرة**» (صحيح).

وفي أحاديث أخرى تثبت هذه الصفة لله عز وجل.

«إن الله يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك» (صحيح).

- «إن الله يقول: إن عبداً أصححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحروم» (صحيح).

«إن الله يقول: أنا خير شريك فمن أشرك بي أحداً فهو لشريكي يا أيها الناس أخلصوا الأعمال لله فإن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما خلص له ولا تقولوا: هذا لله وللرحم فإنها للرحم وليس لله منه شيء ولا تقولوا: هذا لله ولوجوهكم فإنه لوجوهكم وليس لله منه شيء». (صحيح الترغيب والترهيب)

ربنا يسمع كل شيء

انتقلت للسكن في منطقة جديدة... معظم المصلين في مسجدنا الجديد من العمال.. والقلة من أهل البلد... بعد قراءة قصيرة في (فتاوى الإسلام) للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – بعد صلاة العصر... وكان موضوعنا عن صفة (استواء الله سبحانه وتعالى على العرش)... صاحبني في طريقي إلى مركبتي اثنان بعد التحية.. – تبين أنهما من مصر – عرّفاني بنفسيهما..

– منذ نعومة أظفارنا تعلمنا أن الله في كل مكان... وتربينا على ألا نخطأ ولا نرتكب ذنباً لأن الله يرانا.. ولا نتحدث بكذب لأن الله يسمعنا... وموضوع اليوم: (أن الله مستوٍ على عرشه فوق سبع سماوات بائن عن خلقه)... سبّب لنا بعض اللبس...

ابتسمت لهما...

– نعم لقد تربى كثير منّا على أن الله في كل مكان... ولكن لنتابع السبب في تربية الأبناء على هذه العقيدة... (لا تكذب لأن الله يسمعك) و(لا تذنب لأن الله يراك)... إذن الله بسمعه في كل مكان.. فهو يسمع كل شيء.. الهمس.. والسر.. والجهر.. كله سواء عنده... وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ (المجادلة).

وفي بداية هذه السورة (المجادلة): ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ (المجادلة).

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول والله يسمعها من فوق سبع سماوات... والمجادلة اسمها خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت... واسمع قول الله تعالى... ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

فالله مع الجميع وفي كل مكان بعلمه وسمعه وبصره... وليس بذاته!!! وهذا ما تدل عليه جميع آيات الكتاب التي تخبر عن (معية الله) للجميع... مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ (التوبة).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الزخرف).

كان (حسن) و(محمد)... المقاولان المصريان يستمعان باهتمام...

علّق.. (أبوأحمد)..

- لا نسمع مثل هذا الكلام كثيراً... في مساجدنا...

- بل هذا الكلام لا يقال في معظم مساجد المسلمين... بعضهم يرى أنه لا حاجة لعامة الناس بمثل هذه الأمور والأهم أن يتعلم الناس العبادات والأخلاق.. والبعض الآخر يرى عدم الحديث في قضايا العقيدة... لأن معظم الناس لا يفهمها... وبصراحة أنا أختلف مع الرأيين وأرى أن مواضيع العقيدة يجب أن يعلمها جميع المسلمين، وهكذا كان النبي ﷺ يعلم الناس جميعاً العربي والأعجمي والصغار والكبار والحاضر والبادي... بكلمات سهلة مفهومة معلومة للجميع... سألني حسن بعد تردد...

- وهل يجوز لنا أن نسأل (أين الله)؟

- ولماذا ترددت وكأنك محرج أن تسأل هذا السؤال؟

- بصراحة لا أدري... ربما لأننا تربينا ألا نسأل عن شيء يتعلق بالله فهو أعظم من أن ندركه... وأن نفهم ما يتعلق به... أو نعقل شيئاً يختص به.

- هذه الأسباب بعضها صحيح وبعضها خطأ... نَعَمْ اللهُ سبحانه وتعالى أعظم من أن تدركه عقولنا... ولكنه سبحانه وتعالى... خلقنا وأرسل إلينا رسولاً ﷺ وأنزل عليه كتاباً من عنده... وأعلمنا في كتابه... وعن طريق رسوله ﷺ أسماء له.. وصفات له.. سبحانه وتعالى وأراد منا أن نعرف هذه الأسماء والصفات... فهو سبحانه الذي أخبرنا عن أسمائه وصفاته... وليس لأحد أن يؤلف أسماء لله... ولا أن يبتكر صفات لله... لأنه إن فعل ضلّ.. كل ما يتعلق بالله.. نعرفه من القرآن والسنة ولا تجتهد عقولنا في معرفته... وسؤالك... هل يجوز أن نسأل (أين الله؟!).. أجاب عنه أعلم الخلق بالله محمد رسول الله ﷺ... ففي صحيح مسلم... عن

معاوية بن الحكم قال: كانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أُحُد فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمنا وأنا رجل من بني آدم آسفُ كما يأسفون لكن صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: إيتيني بها؟ فأتيته بها فقال لها: (أين الله؟) قالت: في السماء... قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله... فقال ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

ولذلك لا حجة لمن يقول: «لا يجوز أن يسأل المسلم هذا السؤال»؟.. أو يعتبره عملاً شنيعاً وقولاً قبيحاً... أو أن يقول الجواب عليه أن الله في كل مكان... كل ذلك ليس وفق هدي رسول الله ﷺ ولا العقيدة التي جاء بها من عند الله.

- هل تعلُّم العقيدة بهذه السهولة؟!

- نعم... إذا اتبعنا هدي رسول الله ﷺ الذي بعث في أمة أمية أغلبها لا يقرأ ولا يكتب... كان ﷺ يعلمهم كل ما يجب تعلمه في العقيدة وأوله.. الإيمان بالله.. بأسمائه وصفاته.. وعبادته...

ففي الحديث المتفق على صحته.. عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال ﷺ: «**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»... فبين لهم رسول الله ﷺ أن الله سميع قريب.. يسمع دعاءهم فلا حاجة أن يرفعوا أصواتهم بالذكر والدعاء... وفي حديث الدجال.. قال ﷺ: «ما

كانت فتنة - ولاتكون حتى تقوم الساعة - أكبر من فتنة الدجال ولا من نبي إلا وقد حذر أمته، ولأخبرنكم بشيء ما أخبره نبي قبلي إنه أعور... ثم وضع يده على عينه وقال: أشهد أن الله عز وجل ليس بأعور» (السلسلة الصحيحة)... بهذه الكلمات كان الرسول ﷺ يحدث أصحابه... ويفهمون مراده.. يقول لهم إن الله له عينان تليق بجلاله عز وجل وأنه ليس بأعور والدجال أعور.. وذلك أن الدجال يدّعي الألوهية...

وهكذا في جميع الأحاديث التي تذكر صفات الله عز وجل... يحدث النبي ﷺ أصحابه عن الله بكلمات يفهمها من حوله... ويؤمنون بها.. دون السؤال عن الكيفية أو المعنى الخفي المراد أو هل الأمر على الحقيقة أم المجاز.

- هل لك أن تذكر لنا بعض الأمثلة من أحاديث ﷺ ...

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**» (رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم).

وفي رواية لمسلم: «**إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيُعطى هل من داع فيُستجاب له هل من مستغفر يُغفر له حتى ينفجر الصبح**».

عن أبي موسى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا مشرك أو مشاحن**» (صحيح لغيره).

ويجب التذكير دائماً بأنه لا ينبغي السؤال (كيف؟) في صفات الله عز وجل لأن القول في الصفات كالقول في الذات فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل صفات المخلوقات، فإذا قال السائل كيف ينزل ربنا؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهم: «النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة» لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه، وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته. قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله. إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟ وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم. وينتهي النقاش عند هذا الحد.

يستمع الله لحَسَن الصوت يقرأ القرآن

ـ إن الالتزام بمنهج الصحابة والتابعين وسلف الأمة يُنجي العبد من الانحراف والوقوع في الضلال وخاصة في باب العقيدة الذي هو أهم باب في الإسلام...

– ولكن ليس من السهل إلتزام هذا المنهج إلا أن يربّي العبد نفسه أن يستسلم لمنهج (قال الله.. قال رسول الله)... ويقف على ما ورد في هذين المصدرين ويفهمه كما فهمه الصحابة...

– نعم.. إنها تربية... ونعمت التربية.. وأفضل خُلُق.. أن يتخلق العبد مع ربه... ويتخلق المسلم مع رسول الله ﷺ... فيقول: (سمعت وأطعت) كنت وصاحبي (أبوعبدالرحمن).. ومؤذننا (بوإبراهيم).. في ديوان المسجد بين العشائين... علّق أبو إبراهيم..

– ولكن هذا المنهج لا يُدرس بوضوح إلا في جامعات الجزيرة العربية.. أما غالب العالم الإسلامي.. يترك الأمر مفتوحاً.. للنقاشات الفلسفية.. والأفكار الصوفية... والمناهج الفكرية والآراء الكلامية وخاصة في باب (صفات الله عز وجل)... أكثر ما تقرأ في هذا الباب يكون تأويل الصفات.. وصرفها عن معانيها إلى معانٍ لغوية.. بحجة (تنزيه الله)... فلا يثبتون لله (الرضا).. ويقولون هو إرادة الثواب.. ولا (الغضب).. ويقولون هو (إرادة العقاب).. وبالطبع.. لا يثبتون لله.. (الضحك) ولا (العجب).. ولا (النزول إلى السماء الدنيا).. ولا (اليدين).. ولا (الوجه).. ولا غيرها من الصفات.

قاطعه (بوعبدالرحمن)...

- بصراحة عندما أقرأ أو أسمع مثل هذه التأويلات أحمد الله على النعمة العظيمة التي منَّ بها عليّ.. أن تربيت على منهج يثبت لله كل صفة أثبتها لنفسه... كما وردت... دون تأويل ولا تشبيه.. وأقول دائماً... (إني أؤمن برب يفعل ما يشاء).. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

- نعم إنها نعمة عظيمة... سمعت قبل أيام حديثاً في المذياع عن بدأ خلق آدم.. قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم ومسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة...**» إلى آخر الحديث.. تجنب المتحدث بيان المراد بـ(مسح) واستخدم كلمة (استخرج)... مع أن الحديث وارد في صحيح ابن ماجه... ولا أعلم لماذا لا يقول: «نثبت لله أنه مسح على ظهر آدم... والمسح هو إمرار اليد على الشيء» فنثبت هذه الصفة لله عز وجل كما يليق بجلاله سبحانه ولا ننكرها ولا نشبهها... لا أدري لِمَ التحرج من إثبات صفة لله أثبتها لنفسه...

- هذا المتحدث.. لا يثبت صفة (اليد) لله عز وجل.. فلا يثبت صفة (المسح) لله عز وجل... فيصرف هذه الصفات عن معناها إلى معانٍ أخرى يظن أنه ينزه الله... وهو يتعدى على الله ولا يصفه بما وصف به نفسه عز وجل.

أحضر (إبراهيم).. إبريق الشاي الذي طلب أبوإبراهيم من زوجته إعداده لنا.. شاي النعناع الطازج...

– سمعت البارحة حديثاً لم استوعب معناه.. «**ما أَذِن الله لشيء ما أَذِن لنبي حَسَن الصوت يتغنى بالقرآن**» البخاري..

– (أَذِن) هنا – لغة – نفس قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ (الانشقاق)، ولكن في الآية السماء (أذنت) والأرض (أذنت) لربها.. وهنا رب العزة (أَذِن).. بمعنى استمع... ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى يسمع كل شيء... كما قالت عائشة (رضي الله عنها) في حديث المرأة التي جاءت إلى النبي تشتكي زوجها... (سبحان الذي وسع سمعه الأصوات)، فالله عز وجل هو (السميع)... ولكنه (يأذن)... أي يستمع استماعاً خاصاً... لمن يقرأ القرآن... وهو ذو صوت حسن.. يجوّد القرآن ويرتله ترتيلاً... هذا خاص لأهل طاعته.. وأوليائه.. وأنبيائه... وذاك عام يشمل الخلق جميعاً... فنحن نثبت هذه الصفة لله عز وجل.. ونسعى أن نأتي بالعمل (وهو قراءة القرآن بصوت حسن قراءة جميلة) لننال هذا الفضل من الله عز وجل.

– أعتقد لو أن العلماء بيّنوا لعامة الناس أنه يجب الإيمان بكل صفات الله... الثابتة في القرآن أو السنة الصحيحة، وإثبات هذه الصفات من باب أننا (نؤمن برب يفعل ما يشاء كما يليق بجلاله وعظمته)... يسهل على العامة قبول جميع الصفات التي وصف رب العزة بها نفسه...

– نعم أوافقك الرأي... دون الخوف أو حتى التردد من ذكر هذه الصفات... بل ويجب دعوة الناس للإيمان بها وتصديقها دون تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل...

– دعني أقرأ لكم ما قاله ابن القيم في (مختصر الصواعق المرسلة)...

أخرج (بوعبدالرحمن) هاتفه.. وجد ما يبحث عنه... يقول ابن القيم: «وورد لفظ اليد لله عز وجل في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مئة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية تليق برب العزة سبحانه لا تشبه أيادي المخلوقات من الإمساك والطي والقبض... وأنه مسح ظهر آدم بيده عز وجل»..

- يقصد قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ (الأنبياء).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزمر).

- نعم وآيات وأحاديث أخرى... ودعني أذكر هنا حديثاً صحيحاً عظيماً في بيان صفة أخرى لله تتجلى يوم القيامة..

- هات ما عندك...

- قال ﷺ: «**إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ثم يتبع كل ألف سبعين ألفاً ثم يحثي بكفّه ثلاث حثيات**» فكبَّر عمر بن الخطاب رضي الله عنه... صحيح ابن ماجه والترمذي..

- لا شك أن المرء لا يملك إلا أن يكبّر فرحاً بهذا الحديث - تصديقاً وإيماناً ورجاء أن يناله هذا الفضل العظيم..

- وإذا تكلمنا عن الصفة التي أخبرنا الرسول ﷺ عن رب العزة في هذا الحديث فإننا نثبت أن الله (يحثو) ثلاث حثيات بكفيه.

– و(الحثو) لغة ما يدفع بالكفين مجتمعين من غير وزن ولا عدد – فالله سبحانه وتعالى... يدخل جميع هؤلاء المذكورين في الحديث... السبعين ألفاً... ومع كل ألف سبعون ألفاً... ومعهم ثلاث حثيات من حثيات رب العزة... كلهم يدخلون الجنة بلا حساب ...

– الله أكبر ... ما أعظم فضل ربنا..

ربنا له وجه سبحانه وتعالى

ـ من القواعد الهامة في مسألة «الصفات» أن نقول نفس الكلام في جميع صفات الله عز وجل... وأن نؤمن بجميع الصفات.. نثبتها ولا نأولها ولا نبطلها... ولا نشبه شيئاً من صفات الله بصفات المخلوقين وإن اتحدت الألفاظ... مثل (السميع - الرحيم - القوي - العليم... وكذلك.. اليد والوجه والساق.. وكذلك النزول والاستواء والمجيء...). إن كانت الصفة لله.. فهي تليق به سبحانه ولا تشبه صفة المخلوق... والفرق بين الصفتين كالفرق بين الله... والعبد..

- هذه قواعد علمية واضحة... لماذا لا يلتزم بها بعض الناس؟!

- لأنهم لا يطبقونها على جميع الصفات... وإنما يتبعون ما تمليه عليهم عقولهم وأفهامهم في صفات الله عز وجل...

- لنتحدث عن صفة جديدة من صفات الله عز وجل...

- لك ذلك ولكن دعني أذكر أن العلماء قالوا: إن صفات الله عز وجل قسمان... صفات مشتقة من أسمائه سبحانه وتعالى... وذلك أن كل اسم من الأسماء الحسنى يدل على صفة ثابتة لله عز وجل من ذلك الاسم... كالعلم من العليم والسمع من السميع والبصر من البصير والقوة من القوى.

والقسم الثاني.. صفات أخبرنا عنها الله في كتابه العزيز أو سنة رسوله ﷺ الصحيحة... مثل (يحب المؤمنين).. (سريع الحساب).. (شديد العقاب)..

(لا يحب الكافرين).. (يغضب أحياناً).. (ينتقم من المجرمين)... وكذلك (الوجه) و(اليدان) و(الاستواء) و(النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة)... وجميع هذه الصفات تليق به سبحانه وتعالى... لا يشبهه فيها غيره..

- جميل... لنتحدث عن صفة (الوجه) لله عز وجل.

- صفة الوجه لله ثابتة في كتاب الله عز وجل.. فنثبت لله سبحانه وتعالى وجهاً يليق بجلاله سبحانه لا يشبه وجه المخلوق.. ودون أن ندخل في التفاصيل.. ولا نثبت شيئاً.. ولا ننفي شيئاً في باب الصفات إلا بدليل صحيح من القرآن أو السنة.. والأدلة على صفة (الوجه) لله عز وجل هي.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ (الإنسان).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (البقرة).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ (الرعد: ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ (البقرة).

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟

فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الروم).

قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (الرحمن).

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ (الليل).

وأثبت له الرسول ﷺ صفة الوجه في أحاديث معروفة مشهورة منها حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً وفيه: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهي إليه بصره من خلقه». (صححه الألباني).

وصح عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله، فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ عن جابر رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم**﴾ قال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**» فقال: ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾ فقال النبي ﷺ: «**أعوذ بك**»، قال: ﴿**أو يلبسكم شيعاً**﴾ فقال النبي ﷺ: «**هذا أيسر**» (صححه الألباني).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك**» (صححه الألباني).

ومن المعلوم أنه لا يستعاذ إلا بالله وصفاته.

وعن سعد بنِ أبي وقاص قال: قال النبي ﷺ: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرت عليها» (متفق عليه).

– إذن ما مشكلة من يتحرج من إثبات أن الله عز وجل له وجه يليق به سبحانه؟

– مشكلته أنه يتخيل وجهاً لله يشبه وجوه المخلوقين فيريد أن يصرف هذا الذي يتخيله عقله فينفي الصفة عن الله عز وجل...

– ولماذا لا يتبع أقوال العلماء؟!

– لأنه لا يقرأ فلا يعلم.. ولا يريد أن يتعلم...

– ماذا قال علماء الأمة في إثبات صفة الوجه لله تعالى؟

– يقول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «لله عز وجل وجه لا كالصور المصورة والأعيان المخططة بل وجه وصفه بقوله: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ ومن غيّر معناه فقد ألحد عنه، وذلك لأنه سبحانه عنده وجه في الحقيقة دون المجاز ووجه الله باق لا يبلى وصفة له لا تفنى ومن ادعى أن وَجْهَهُ نَفْسُهُ فقد ألحد ومن غير معناه فقد كفر وليس معنى وجه معنى جسد عنده ولا صورة ولا تخطيط ومن قال ذلك فقد ابتدع فيجب الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ لأنه لا أحد أعلم من الله بالله، ﴿**أأنتم أعلم أم الله**﴾، فهو أعلم بنفسه وبغيره، كما يجب الإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ».

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات

الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً، تبارك الله تعالى رب العالمين». ولما سئل - رحمه الله - عن صفة النزول، فقال:

«ينزل بلا كيف».

وقال الإمام الحافظ نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهاً».

وقال بعض السلف: (قَدَمُ الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم».

- أظن أن غالب العالم الإسلامي لا ينتهج هذا السبيل في إثبات صفات الله عز وجل بل يتقبلون أقوال الفلاسفة وأصحاب الكلام.. لأنهم - يزعمون - أنه أقرب إلى العقل والمنطق، لذلك التركيز على منهج الصحابة وكيف فهموا آيات الصفات ثم بيان أن هذا العلم لا يؤخذ إلا بالأدلة الصحيحة الثابتة وليست بالمنطق والكلام وقبول العقل... وقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ (البقرة: ١٤٠)، تكفي أن تكون منهاجاً لمن أراد أن يصل إلى الحق... والهُدى الذي جاء به رسول الله ﷺ.

ربنا له (يدان) سبحانه وتعالى

جلسنا في الشرفة المطلة على البحر بعد صلاة العشاء يوم الخميس... ثلاثة من رواد المسجد وصاحب الدار رابعنا.

- من أُسُسِ الحديث عن صفات الله عز وجل... أن يقال في جميع الصفات ذات الكلام... نثبت الصفة لله دون تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل... ولا ننفي عن الله صفة أثبتها لنفسه سبحانه وتعالى، ونتذكر دائماً قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ١٤٠)، مثلاً... نقول في صفة (الاستواء على العرش)... ذات الكلام الذي نقوله عن (علم الله)... وعن (قدرة الله).. وعن (رحمة الله)... وعن (كلام الله).. وعن (رضا الله).. وعن (يد الله).. وعن (وجه الله).. وعن (فرح الله).. وعن (غنى الله).. وعن (سمع الله).. وعن (عين الله).. وعن (عظمة الله).. وعن (كبرياء الله).. وعن (علو الله).. وعن (ساق الله).. وعن (صدق الله).. وعن (بطش الله).. وعن (الأصابع لله).. وعن (حب الله).. وعن (سخط الله).. وعن جميع ما ثبت من صفات لله عز وجل سواء في القرآن... أو في السُّنة الصحيحة..

كانت المشروبات الساخنة جاهزة.. وقام صاحب المكان بمساعدة خادمه... بتقديمها لنا.

كان المتحدث (أبا أنس)... يدرّس في قسم الحديث بكلية الشريعة... عقّبت على تقديمه...

– صدقت يا (أبا أنس)... وذلك أن طوائف من المسلمين.. يثبتون بعض الصفات... وينفون أخرى... تجدهم يثبتون لله (العلم) و(القدرة).. ويأولون (الاستواء).. و(النزول).. وينفون (الضحك) و(الفرح).. ولا يثبتون (اليد).. و(العين)..

– تماماً.. هذا الذي أردت بيانه... لو أنهم إلتزموا ذات القواعد في جميع الصفات لما وقعوا في الخطأ.

دعنا نتحدث عن صفة من صفات الله التي أوّلها كثير من الطوائف رغم أنها ثابتة في القرآن وفي السنة... وهي (اليدان) لله عز وجل..

هذه الصفة ذكرها الله عز وجل في كتابه: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ (ص: ٧٥).. بتشديد الياء للتثنية..

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ (المائدة: ٦٤).

ففي هاتين الآيتين ذكر سبحانه لفظ (اليدان).. وفي سورة الزمر ذكر الله سبحانه لفظ (اليمين).. ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾.

فلا مجال لأن ينكر أحد هذه الصفة لله... ببساطة يقول الله عز وجل أن له (يدان)... وبعض الناس يقولون (لا ليس لله يدان)... كيف يجرؤ أحد أن ينكر صفة أثبتها الله لنفسه!!؟

– أظنهم استخدموا عقولهم حيث يجب ألا يستخدموها...

– بل استخدموا عقولهم بطريقة خاطئة... وقدموا أهواءهم على الحق.. ولو أنهم اتبعوا ما جاء في كتاب الله وما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته... لما حادوا عن الحق... كان الرسول ﷺ يخبر أصحابه عن صفات الله... فيؤمنوا بها... كما يسمعونها... وبالطبع كانوا أفهم الناس لكلام رسول الله ﷺ... مثلاً في البخاري ومسلم: قال رسول الله ﷺ: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار.. أرأيتم ما أنفق منذ أن خلق السموات والأرض فإنه لم يغض (لم ينقص) ما في يده**»... تصور المجلس الذي أخبر فيه صحابته عن هذه الصفة لله عز وجل... لم يشك أحد منهم أن لله (يد)... وفهم مراد النبي ﷺ...

تدخل (أبو صالح)... ليعقب على ما قيل...

– ألم يخبر النبي ﷺ أن الله خلق بعض الأشياء بيده؟!

– بلى...

– هذا دليل آخر في إثبات صفة (اليدين) لله عز وجل... لأنه سبحانه إذا أراد خلق شيء فإنما يقول له (كن) فيكون.. واستثنى هذه الأشياء.. التي هي:

آدم – عليه السلام – والعرش... والقلم... ولا أذكر الرابعة... تدخل أبو أنس...

– جنات عدن.. وكذلك خط التوراة بيده سبحانه وتعالى وكتب كتاباً بيده فهو عنده فوق عرشه (إن رحمتي غلبت غضبي)...

الشاهد أن صفة (اليدين) لله عز وجل ثابتة في القرآن وفي السنة الصحيحة.

ودعني أورد لكم أقوال علماء السلف في هذه الصفة لله عز وجل.

صرح الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – أن من لم يحمل النصوص على الحقيقة وتأوَّل صفة اليدين بالقدرة أو بالنعمة فقد أبطل الصفة.

فقد قال: «ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة» (الفقه الأكبر ص ٣٠٢). وقال ابن بطال في الرد على من أوَّل صفة اليدين بالقدرة أو النعمة: (ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة ولا قدرة له في قول النفاة.. ويدل على أن يدين ليستا بمعنى القدرة قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (ص). إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود، فلو كانت بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته، ولقال إبليس: وأي فضيلة له عليَّ وأنا خلقتني بقدرتك، كما خلقته بقدرتك فلما قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ (ص)، دلّ على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه قال: ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق لأن النعم مخلوقة» (فتح الباري: ١٣/ ٣٩٣ – ٣٩٤).

وهذا ما أجمع عليه السلف، قال الأشعري: «أجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه» (رسالة الثغر، ص ٧٢).

وقرره الإسماعيلي في عقيدة أهل الحديث حيث قال (ص: ٥١): «وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف يداه إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف».

- وماذا عن حديث: (كلتا يديه يمين)؟!

- أعرف حديثين الأول في صحيح مسلم والثاني في صحيح الترمذي.

قال ﷺ: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين...**» (مسلم).

وقال ﷺ: «**لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه فقال له الله عز وجل ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين**».

وهذان الحديثان شرحهما العلماء.. وأذكر لكم بالمعنى ما ذكره الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - (نثبت لله يدين يمين وشمال ولكن لا نصف اليد الأخرى بالشمال... وذلك لأن في العادة اليمين تختلف عن الشمال... ولكن في حق الله اليدان لا تختلفان بأي شيء... وكلتاهما فيه الخير والبركة واليمين)...

وفي صحيح مسلم حديث آخر... عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمين ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون**»...

- أراد صاحب الدار أن ينهي موضوع النقاش... ليدعونا إلى الطعام..

– لماذا لا يقولون... نثبت لله عز وجل (يدين) كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى... يدان لا تشبهان أيادي المخلوقات ولا نعرف كيفهما وهما من صفات الله التي نؤمن بها دون تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل... ونكون على ما كان عليه محمد ﷺ وصحابته؟!!!

– هلموا إلى المائدة في الغرفة الأخرى.

ربنا له (أصابع) سبحانه وتعالى

- يظن كثير من الناس أن (العقيدة) أصعب أبواب الإسلام... وأصعب جزء في العقيدة الحديث عن صفات الله عز وجل...

- هذا من الأخطاء الخطيرة عند كثير من المسلمين... دفعهم إلى الانصراف عن معرفة عقيدتهم الصحيحة... وذلك أن كثيراً من المؤسسات التعليمية الإسلامية أدخلت منهج الفلسفة وعلم الكلام في دراسة العقيدة.. فنفر الناس من المصطلحات الفلسفية التي ملأ بها الفلاسفة عقيدة المسلمين البسيطة.. مع أن كبار الفلاسفة السابقين اعترفوا بخطأ هذا المنهج... وإليك بعض ما قاله هؤلاء.

قال أبو المعالي عند الموت (لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور).

(ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ (طه)، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي).

ولقد رفض أئمة الإسلام هذا المنهج وذمّوا أهله.

فقال الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال

ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال أبو يوسف القاضي: من طلب الدين بالكلام تزندق.

وقال الإمام أحمد: ما خاض أحد بالكلام فأفلح.

- على العموم أنا ضد شيء اسمه (فلسفة إسلامية)... وجَعْلَها جزءاً من دراسة العقيدة.. وذلك أن العقيدة هي أهم مكونات الإسلام وينبغي أن يفهمها الجميع... القارئ والأمي.. العربي والأعجمي.. أهل الحضر وأهل البادية.. فهي قضايا سهلة ميسرة جعلوا منها مسائل معقدة وشرحوها بألفاظ صعبة لا يكاد يفهمها إلا أهل الاختصاص... دعني أعطيك مثالاً..

كنا أربعة نفر في ديوان (بوفيصل) بانتظار اجتماع الحضور لبدأ درس الأربعاء...

روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، والماء على أصبع، والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن: فيقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزمر).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال:

«إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها حيث يشاء ثم قال: يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك» (مسلم).

وفي معناه أيضاً حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه عند مسلم هكذا: «**سمعت رسول الله ﷺ يقول: الميزان بيد الرحمن إن شاء الله يرفع أقواماً ويضع آخرين - وقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**». وكان يقول رسول الله ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك**».

في هذه الأحاديث إثبات صفة الأصابع لله عز وجل.. يخبرنا بذلك الرسول ﷺ... بوحي من عند الله.. فينبغي أن نثبت هذه الصفة لله عز وجل... دون تشبيه ولا تأويل... ولا تكييف... نقول كما قال نبينا محمد ﷺ وهو أعلم الخلق بربه وما ينطق عن الهوى... لله عز وجل أصابع تليق به ليست كأصابع الخلق... هكذا ببساطة دون أن نتحرج أو نتعب أنفسنا بالخوض في تفاصيل أخرى... وهذه الأحاديث حصلت بحضور جمع من الصحابة... على تفاوت خلفياتهم وأعمارهم وأفهامهم... ولم ينكر أحد منهم شيئاً منها... ولم «يتفلسف» في تأويل معناها... وهكذا ينبغي أن يكون موقفنا من هذه الأحاديث التي تخبرنا عن صفات ربنا سبحانه وتعالى.

ولما سئل سفيان بن عيينة - رحمه الله - عن هذا الحديث - الذي ذكر فيه الأصابع - في عدَّة من أحاديث الصفات قال رحمه الله: هي كما جاءت، نُقرُّ بها، ونحدِّث بها بلا كيف.

وقال الإمام الحافظ البغوي - رحمه الله -: والأصبع المذكورة في

الحديث صفة من صفات الله – عز وجل – وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنّة من هذا القبيل في صفات الله – تعالى – كالنفس والوجه، والعين، واليد، والرِّجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح، فهذه ونظائرها صفات لله – تعالى – ورد بها السمع ويجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها، معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري – سبحانه وتعالى – لا يشبه شيء من صفاته صفات الخَلْق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

ولئن كانت صفة السمع والبصر والإرادة لا تدلُّ على التمثيل – رغم أن أغلب المخلوقات الحيوانية لهم من جنس هذه الصفات – فإن صفة الأصابع لله تعالى أيضاً لا تدلُّ على التمثيل ولا على التجسيم.

ربنا (يضحك) و(يعجب) سبحانه وتعالى

- من القواعد الهامة في إثبات صفات الله عز وجل ألا نفرق بين صفة وأخرى... كما نثبت لله العلم ونقول إن لله علم ليس كعلم المخلوقين وأن علم الله يليق بجلاله وكذلك قدرته وكذلك قوته وكذلك استواؤه، وكذلك نزوله إلى السماء الدنيا وكذلك رضاه وكذلك وجهه وكذلك يداه.. سبحانه وتعالى... نثبت كل صفة تثبت بالدليل الصحيح من القرآن أو السنة... بمعنى: لو أن صفة من صفات الله جاءت بحديث واحد صحيح عن رسول الله ﷺ فإننا نؤمن بهذه الصفة ونثبتها لله عز وجل... ونقول فيها ما نقول في أي صفة أخرى ثبتت في القرآن الكريم... نؤمن بالصفة بلا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل...

- وهل هناك صفة ثبتت في السنة ولم ترد في القرآن؟!

- نعم... صفة (الضحك والعجب) لله عز وجل...

نظر إلي صاحبي... مستغرباً...

- نعم نثبت أن الله عز وجل يضحك ضحكاً يليق بجلاله لا يشبه ضحك المخلوقين ولا ننفي هذه الصفة ولا ننكرها ولا نحرف معناها ولا نتحرج أن نصف ربنا بها لأن الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه وأعلمنا بذلك وأراد منا أن نؤمن بهذه الصفة له سبحانه وتعالى.

كنت وصاحبي نقضي وقتاً بعد صلاة العصر في حديقة منزله الجديد وقد جهز لنا ثلاثة أنواع من الشاي... وشيئاً من المكسرات والحلوى.

- وما هو الحديث الذي وردت فيه هذه الصفة لله عز وجل؟!

- أولاً الحديث صحيح وهو من الأحاديث المتفق على صحتها... بل هناك أكثر من حديث دعني أجمعها لك من برنامج الأحاديث المحمل في هاتفي...

في أقل من دقيقة جمعت الأحاديث...

- استمع...

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «إني مجهود فأرسلَ ﷺ إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ: «**من يضيفه ويرحمه الله**» فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء ونوميهم فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة**».

وفي رواية مثله ولم يسم أبا طلحة وفي آخرها فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩) متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة، يقاتل هذا فيقتل فيتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد**» (السلسلة الصحيحة).

وعن أبي رزين العقيلي: «قال: يا رسول الله أيضحك الله سبحانه وتعالى؟ فقال: «**نعم**»، فقال: «**لن نعدم من رب يضحك خيراً**». (السلسلة الصحيحة).

وعن أبي موسى الأشعري: «يتجلى ربنا ضاحكاً يوم القيامة» (صححه الألباني).

– هناك أناس رفضوا إثبات هذه الصفة لله عز وجل وذلك أن عقولهم لا ترضى أن يكون ربهم «يضحك».. فبماذا فسروا هذه الأحاديث وكيف أولوا هذه الصفة؟!

– تتحدث وكأنك من المتخصصين في قضايا الاعتقاد...

ابتسم صاحبي على تعليقي... تابعت حديثي..

– نعم... يا أبا أحمد... حاول بعضهم تأويل هذه الصفة... فوقع في ما هرب منه... مثلاً قال بعضهم الضحك في حق الله هو الرضا والرحمة والصفح... ويرد هذا التأويل حديث أبي رزين لأن هذه الصفات يعلمها جميع المسلمين... ولكن عندما ذكر الرسول ﷺ صفة الضحك لله عز وجل... أراد هذا الصحابي أن يتأكد من هذه الصفة بالذات... فقال مستفسراً: «أيضحك الله سبحانه وتعالى؟» وأجابه ﷺ بالإثبات... فآمن بهذه الصفة بعد أن علمها وأثبتها وتفاءل خيراً وقال: (لن نعدم من رب يضحك خيراً)..

ودعني أورد لك ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في معرض رده على من أنكر صفة الضحك لله عز وجل.

حيث يقول رحمه الله: (ومن هذا «ضحكه» سبحانه من عبده حيث يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبه فيضحك سبحانه فرحاً ورضا، كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه، ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سراً حيث لا يراه إلا الله الذي أعطاه، فهذا الضحك إليه حباً له وفرحاً به.

وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة، فيضحك إليه فرحاً به وبقدومه عليه)اهـ.

– اعتقد أن مشكلة من يجد حرجاً في إثبات هذه الصفة لله عز وجل أنه يعتمد الأدلة العقلية ولا يعتمد على الأدلة النقلية الثابتة في الكتاب والسنة.

– نعم صدقت... لا ينبغي أن يجد عبد إشكالاً في إثبات هذه الصفة لله عز وجل طالما ثبتت بالأدلة الصحيحة... ونقول في هذه الصفة ما قلناه في صفة العلم والقدرة والسمع... وجميع صفات الله عز وجل...

– لنذكر الأدلة في إثبات صفة (العجب) لله عز وجل.

– نعم... ودعني أولاً أورد حديثاً جميلاً في إثبات صفة الضحك لله عز وجل.

(ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبل بوجهه قِبَل النار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذَكاؤها. فيقول: هل عسيت إن أفعل ذلك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك فيعطي الله ما شاء الله من عهد وميثاق فيصرف

الله وجهه عن النار فإذا أقبل وجهه على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى: أليس أَعْطَيْتَ العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت. فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك. فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره. فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور سكت ما شاء الله أن يسكت فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك، وتعالى: ويلك يا ابنِ آدم ما أغدرك أليس قد أَعْطَيْتَ العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت. فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنّ فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله تعالى: تمنّ من كذا وكذا أقبل يذكِّره ربه حتى إذا ا نتهت به الأماني قال الله: لك ذلك ومثله معه».

وفي رواية أبي سعيد: «قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله». (متفق عليه)

أما أحاديث إثبات (العجب) لله عز وجل فهي كثيرة منها: «**إن الله ليعجب إلى العبد إذا قال: لا إله إلا أنت إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال: عبدي عرف أن له ربا يغفر ويعاقب**» (صحيح).

«**إن ربك ليعجب للشاب لا صبوة له**» (الصحيحة).

وفي رواية: «**عجب ربك من شاب ليست له صبوة**».

«**يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني، فقد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة**» (السلسلة الصحيحة).

«**إن الله ليعجب من الصلاة في الجميع**» (حسن). (يعني صلاة الجماعة).

– ونقول في هذه الصفة ما قلناه من قبل... نثبت صفة العجب لله عز وجل كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى دون تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل... ونؤمن بهذه الصفة ونجتهد أن نعمل الأعمال التي تؤهلنا لننال (عجب الله) عز وجل... من الصلاة في الجماعة... والأذان والإقامة إذا كنا في الصحراء... ومن ترديد الدعاء المذكور أعلاه... وللشباب أن يكونوا بلا صبوة (كبوة)... ولا شك أن هذه الأعمال من الدرجات العليا في سلم الإيمان نسأل الله التوفيق والسداد.

معية الله

إعتدت أن ألقي نظرة على هاتفي بعد الرجوع من صلاة الفجر... وذلك أن الأمور الهامة والأخبار العاجلة والقضايا الأساسية ترسل في أواخر ساعات الليل.. أخبار من توفي.. ومن دخل المستشفى... ومن غضب وخرج من بيته... وكلها أخبار يجب التفاعل معها...

فجر الجمعة تلقيت خبر وفاة أحد الدعاة... ترك أهله وداره... سافر في أرض الله.. يدعو إلى الله.. ويعين الفقراء... كانت ردة فعلى التلقائية... (إنا لله وإنا إليه راجعون أسأل الله لك الجنة).. وتذكرت قوله تعالى... ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ (النساء).

ولا أدري إن كان استشهادي صحيحاً أم لا... ولكن هذا ما خطر على بالي أول ما قرأت النبأ... بعد صلاة الجمعة... جلست واثنين من رواد المسجد في الديوان... نتحدث في ذلك المصاب...

- لقد كان في معية الله... فهنيئاً له هذه الميتة...

- نرجو ذلك... ونحسبه كذلك... ولا نزكي على الله أحداً... ولكن ماذا تقصد بكلمة (معية الله)؟!!

- من صفات الله عز وجل (المعية)... أي أنه يكون مع خلقه... إما بعلمه... أو بتأييده ونصره وحفظه... لما في الآيات التالية...

أخذت هاتفي استخرجت «آيات المعية»...

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (النساء).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (المجادلة).

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الأنفال).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل).

– والعبد – لا شك – يحرص أن ينال معية الله حفظاً وتأييداً ونصرة – بإخلاص النية لله.. والعمل فيما يرضي الله عز وجل...

– هل يجوز أن يُدعى للإنسان... كما يفعل كثير من الناس وخاصة الآباء فيقال (الله معك)... وبلهجة أخرى (الله وياك).. أو (ربنا معك)...

– لا بأس في ذلك... وهذه (المعية) التي ترجوها لمن تدعو له هي معية (الحفظ)... كأن تقول (حفظك الله)... أما (معية العلم)... فهي موجودة... للجميع.. الطائع والعاصي... المؤمن والفاجر... ولكن لا يقال... (الله والنبي معاك)... أو (الله وياك ومحمد وعلي) هذه... عبارة خاطئة في العقيدة.

– إن (معية العلم).. لله عز وجل.. بمعنى أنه يعلم كل شيء عن كل أحد كما في وصف المنافقين في الآية (١٠٨) من سورة النساء أو كلام المتناجين كما في آيات المجادلة... فيها من الترهيب ما فيها... ولا يمكن لأحد أن ينطق بحرف مما يغضب الله وهو يعلم أن الله معه بسمعه وعلمه... فلا يشهد زوراً... ولا يحلف غموساً... ولا يكذب حديثاً... إذا كان على يقين أن الله يسمعه... ومعه في تلك اللحظة بعلمه... فهذه الصفة لله عز وجل... تكسب العبد دوام المراقبة وخاصة لما ينطق به... ويفعله... في الخفاء...

أما معيته سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين المتقين المحسنين فإنها تبعث في القلب الطمأنينة والثقة والسكينة... مهما وقع على العبد من ظلم وجور... ولحظات ضعف وانكسار...

قاطعني (بوسالم)...

- وهل نستطيع أن نقول إن من صفات الله (الصدق)؟!

- لا شك أنه (لا أصدق من الله) يقول تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾... ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ (النساء)... ويقول عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ (النساء).

والصدق هو مطابقة الخبر للمخبرَ عنه... ولا شك أن ما أخبر عنه الله عز وجل... واقع بكل تفاصيله... فهو سبحانه عز وجل.. صادق في وعده ووعيده وحديثه وإخباره... صادق فيما أخبر عنه مما مضى... وصادق فيما يقع للعبد... وصادق فيما سيلاقي العبد..

- هل هناك حديث (إن تصدق الله يصدقك)»!

- نعم.. الحديث في صحيح النسائي...

عن شداد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك... فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة غَنِم النبي ﷺ سبياً... فَقَسم له.. وأعطى أصحابه ما أعطاه... وكان يرعى ظهورهم فلما جاء دفعوا قسمته إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسمه لك رسول الله ﷺ... فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال ما هذا يا رسول

الله؟ قال ﷺ: قسمته لك... قال ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أُرْمَى إلى هاهنا (وأشار إلى حلقه).. بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال ﷺ: «**إن تصدق الله يصدقك**»... فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأُتي به إلى النبي ﷺ يُحمل وقد أصابه سهم حيث أشار قبلُ... فقال ﷺ: **أهُوَ هُو؟** قالوا: نعم... فقال ﷺ : «**صدق الله فصدقه**»...

وهذه صفة عظيمة.. يحب الله عباده أن يتحلَّوا بها... فإن الكذب ينافي أخلاق المؤمن... فهو صادق... في حديثه وشهادته وتصرفاته وعبادته... وأعظم الصدق... أن يكون صادقاً مع الله عز وجل وأقبح صفة للمنافقين أنهم يكذبون مع الله... تخالف ألسنتهم أفئدتهم... والعياذ بالله.

ربنا أحسن الخالقين

قرأ إمامنا في صلاة العشاء من أوائل سورة (المؤمنون)... حتى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ (المؤمنون)... بعد الصلاة رافقت صاحبي إلى ديوانه تلبية لدعوة كانت قبل يومين... سألني:

- قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾... كأنه يوحي بوجود خالقين... والله عز وجل... أحسنهم... وأستغفر الله من هذه المقولة ولكنها مما خطر في بالي... والله يقول في آية أخرى إنه لا خالق إلا هو... المعنى.. لأني لا أحفظ الآية...

- أولاً... الآية التي تعني... هي...

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ (الزمر).

أم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (غافر).

أم قوله سبحانه: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ (الرعد).

أم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ (الحج).

أم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ (فاطر).

- بصراحة لم أكن أقصد أي آية بعينها... ولكني كنت أريد المعنى... أنه لا خالق إلا الله... فكيف يكون الله سبحانه وتعالى: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾؟!

- مفهوم.. وأظن أننا لن نتعب كثيراً في إيجاد الجواب الشافي ونحن نحمل هذه الأجهزة الذكية... دعنا نأخذ مجلسنا... وأقرأ لك ما ورد في تفسير: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾...

كان المجلس معدّاً.. استأذن لدقائق.. بحثت في كتب التفسير.. جهزت الصفحات التي فيها ما نريد... أخذ صاحبي مجلسه...

اسمع يا أبا أحمد:

- ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾... أي أحسن المقدرين .. ومنه قول شاعرهم ولأنت تفري ما خلقت وبعض... القوم يخلق ثم لا يفري...

والمعنى أن غير الله يُقدِّر الأمر ثم لا ينفذه لعجزه أما الله سبحانه... فإنه يقدر وينجز... وهناك معنى آخر... بياناً لقول الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ (الفرقان).

أي أنه خَلَق كل شيء على القدر الذي خُلِق لأجله... فالإنسان خلقه وقدره لتكاليف الدنيا وجزاء الآخرة والملائكة خلقهم وقدرهم لعبادته وطاعته، والدوابّ خلقها وسخرها لبني آدم... وهكذا ... ففي

هذه الآية أصبح معنى الخلق يختلف عن معنى التقدير... وهناك اجتمع المعنيان...

- نعمة عظيمة أن يحمل أحدنا آلاف الكتب وما لا يحصى من المعلومات في هذه الأجهزة الصغيرة الخفيفة..

- نعم إنها عظيمة لمن عرف استخدامها..

- إذن نستطيع أن نقول أن ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ من صفات الله عز وجل.

- نعم... وأمر الله بعبادة ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ في سورة الصافات في قوله تعالى عن دعوة نبي الله إلياس لقومه: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ (الصافات).

- ما معنى بعلاً؟

- (بعل)... معناه (سيد).. وكانوا قد سمّوا إلههم (بعلاً)!!

- وماذا عن بعض صفات الله عز وجل التي تشبه ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾؟

- نعم.. من صفات الله عز وجل أنه ﴿خير الرازقين﴾.. وأنه ﴿خير الفاتحين﴾.. وأنه ﴿خير الغافرين ﴾.. وأنه ﴿خير الحافظين﴾.. وأنه ﴿خير الحاكمين﴾.. وأنه ﴿خير الوارثين﴾.. وأنه سبحانه: ﴿ خير المنزلين﴾.. وأنه سبحانه ﴿خير الراحمين﴾.. وأنه سبحانه ﴿خير الفاصلين﴾..

- ما شاء الله ... والله لم يخطر ببالي ورود كل هذه الصفات لله عز وجل في كتاب الله... بهذه الصيغ...

- دعني أقرأ لك بعض الآيات التي وردت فيها هذه الصفات لله عز وجل.

- ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (المائدة).

- ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (المؤمنون).

- ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ (آل عمران).

- ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (الأنعام).

- ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (الأعراف).

- ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (الأعراف).

- ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ (يونس).

- ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (يوسف).

- ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (الأنبياء).
- ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (المؤمنون).
- ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ (المؤمنون).

ألفاظ يوصف بها ربنا عزوجل

مع دخول فصل الشتاء الذي لا يمتد لأكثر من شهر ونصف في الكويت أصبحت معظم النشاطات الاجماعية والدعوية... بعد صلاة العشاء.. لأنها تنتهي قبل السابعة مساء...

دعاني أحد المصلين لجلسة في منزله... القريب من المسجد.. كان قد اعتنق الإسلام منذ خمس عشرة سنة... واستقر في الكويت منذ سبع سنوات... يعمل مدرساً في إحدى المدارس الخاصة.. أخبرني أنه ومجموعة من الذين اعتنقوا الإسلام يجتمعون مرة كل أسبوع في منزل أحدهم... لم يكن في المجلس أحد بعد... قام أبناؤه بخدمتنا - لديه ثلاثة أولاد... أكبرهم في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره...

بدأ الضيوف بالتوافد... وخلال نصف ساعة اكتمل المجلس... ألقيت كلمة قصيرة لم تتجاوز العشر دقائق... عن صفات الله عز وجل... وفتحت باب المناقشة...

- هل يجوز أن نصف الله بأنه (شخص)؟...

كان معظم الحاضرين يتكلم العربية... وحرصت أن أذكر صفات الله بألفاظها العربية... ويقوم صاحبي الأمريكي بشرحها إذا استدعى الأمر..

- القاعدة التي ذكرناها... أن كل صفة ثبتت في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ الصحيحة... نثبتها لله... ونذكر اللفظ الذي جاء في الآية أو الحديث... لا نغيّر شيئاً... ونؤمن بالمعنى... ولا نحرف المعنى ولا نأوله ولا ننكره أو نعطله...

بعد التأكيد على هذه القاعدة نجد حديثاً في البخاري... من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا شخص أغير من الله**»... وفي ظلال الجنة... رواية أخرى...

«**لا شخص أغير من الله تعالى ولا شخص أحب إليه العذر من الله عز وجل ومن أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب إليه المدح من الله تعالى ومن أجل ذلك وعد الجنة**» قال الألباني: صحيح على شرط الشيخين..

فالحديث ثابت... لذلك نقول دون حرج إن الله يوصف أنه (شخص) دون أن نشبهه سبحانه بأشخاص المخلوقين... ولا ننفي هذه الصفة عن الله عز وجل... ولا نأول الكلمة عن معناها...

وهكذا منهجنا في صفات الله عز وجل نثبت كل صفة أثبتها الله لنفسه... ونؤمن بها كما جاءت... ودائماً نذكر أنفسنا بأن الفرق بين صفات الله.. وصفات المخلوقين.. كما الفرق بين الخالق والمخلوق... وإن اتحدت الألفاظ...

علّق أحدهم...

- أنا مسرور جداً بهذا الكلام لأنه كلام جديد أسمعه لأول مرة وأشعر أنني أتعلم شيئاً جديداً... هل لك أن تذكر لنا صفة أخرى مثل (شخص) لله عز وجل... قد لا نعرفها...

- مثلاً صفة (النفس) (بفتح النون وسكون الفاء)... نثبتها لله... وذلك

لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ (المائدة)...

لعيسى ابن مريم نفس ولله نفس... والفرق بينهما كالفرق بين الخالق والمخلوق... وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل أنه قال: من ذَكَرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ من الناس ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب) مسند الإمام أحمد صححه الأرناؤوط.

فَنُثبِتُ لله صفة (النفس)... بهذا اللفظ...

كان الجميع ينصت باهتمام... لأنهم يسمعون هذا الكلام لأول مرة كما علّق أحدهم..!!

- وماذا عن صفة أخرى لله عز وجل يمكن أن نصفه بها ولا يعلمها معظم الناس؟!

- قال البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه باب ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ (الأنعام: ١٩)، فسمى الله تعالى نفسه شيئاً وسمى النبي ﷺ القرآن (شيئاً) في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: «أمعك شيء من القرآن؟» قال الشيخ ابن تيمية في الفتاوى: «ويفرق بين دعائه والإخبار عنه فلا يدعى سبحانه وتعالى إلا بالأسماء الحسنى وأما الإخبار عنه فلا يكون بإسم سيئ ولكن بإسم حسن مثل: شيء - وذات - وموجود» انتهى.

وقد سمى الله نفسه (شيئاً) ولم يسمّ نفسه (جسماً) ولذلك لا نصف الله بهذا اللفظ ولا ننفيه... قال الشيخ عبدالله الغنيمان في شرحه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري: «يريد بهذا أنه يطلق على الله تعالى أنه (شيء) وليس معنى ذلك أن من أسماء الله الحسنى (الشيء) ولكن يخبر عنه تعالى بأنه شيء وكذلك يخبر عن صفاته سبحانه وتعالى أنها (شيء) لأن كل موجود يصح أن يقال له شيء» انتهى...

وقال ابن القيم في بدائع الفوائد: «ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي واستدل العلماء بقول الله تعالى... ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص) والآية السابقة التي ذكرت.

استحسن الحضور الكلام ولم يخفوا استمتاعهم بما قيل بفضل الله تعالى.

يجيء ربنا يوم القيامة لحساب الخلق

- ينبغي على العبد أن يذكّر نفسه دائماً أن صفات الله ليست كصفات المخلوقين: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ سبحانه... وأي صفة لله لا ينبغي أن يربطها بصفات المخلوقين... فليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة ولا الاستواء كالاستواء ولا اليد كاليد ولا السمع كالسمع دائماً يثبت لله الصفة ويقول: «كما يليق بجلاله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه ولا ننكر صفة وصف بها نفسه سبحانه»...

وبهذا المنطق يعرف العبد ربه كما يحب الله سبحانه وتعالى ويرضى

- أراك تكثر من قول (يعرف العبدُ ربه)...

- وهل هناك أسمى وأشرف من أن يتعرف العبد على ربه بأسمائه سبحانه وصفاته... وهل هناك عبادة أحب إلى الله من أن يتعرف العبد عليه سبحانه... هذا العلم يورث إيماناً في القلب لا يورثه أي علم آخر...

الآيات التي فيها أسماء الله وصفاته... هي أعظم آيات القرآن... الأذكار التي فيها أسماء الله وصفاته... هي أشرف الأذكار... الأدعية التي فيها أسماء الله وصفاته هي أنفع الأدعية... والذي يميز العباد يوم القيامة وينجيهم من أهوال يوم القيامة... هو معرفة الله عز وجل... من عرف الله كما يحب ربنا ويرضى... يعرف كيف يعبده وكيف يدعوه وكيف يتقرب إليه وكيف يناجيه وكيف يلجأ إليه وكيف يشكره وكيف يحمده ... إنه أشرف علم يمكن للعبد أن يبذل عمره كله فيه.

كنت وصاحبي جلوساً في المسجد الذي خلا من جميع المصلين بين العشاءين وقد أخذ كل منا مصحفه ليقرأ حزبه اليومي.. سألني...

– تَحدثنا عن صفة (نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا)... فماذا عن صفة مجيئه يوم القيامة؟

– هنا دعني أذكر قاعدة أخرى بعد أن ذكرنا أننا نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه دون تشبيه أو تعطيل أو تأويل...

ينبغي على العبد أن يذكر بها نفسه... (أن الله على كل شيء قدير)... يفعل ما يشاء سبحانه.. متى شاء... دون أن نعرف نحن الكيفية... وبذلك نقول إن الله ذكر في كتابه أنه يجيء يوم القيامة للفصل بين العباد الذين وقفوا في المحشر... ينتظرون رب العزة ليفصل بينهم... ففي الحديث المتفق على صحته.

«إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله! فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم: ألا تَردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله! فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا

فيشار إليهم: ألا تَردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ اتبعت كل أمة ما كانت تعبد قالوا: فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم الساق فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة».

وهذا جزء من حديث طويل...

وفي كتاب الله عز وجل: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ (البقرة).

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ (الفجر).

وقد روى ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسيره أن السماء تشقق لمجيئه يوم القيامة تتنزل ملائكة السماوات فيقول الناس أفيكم ربنا فيقولون لا وهو آت حتى يأتي الله في أهل السماء السابعة وهم أكثر من دونهم.

والمفسرون الذين ينهجون منهج السلف الذين يفسرون القرآن باللغة والنقل والأثر يُجمعون على أن معنى الآية هكذا، هل ينتظر هؤلاء الذين يعدلون بربهم الأوثان والأصنام ويكفرون بلقاء الله، وجزائه، إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم، أو أن يأتيهم ربك «يا محمد» يوم القيامة أو أن يأتيهم بعض آيات ربك، ومن أظهرها طلوع الشمس من مغربها.

هذا قول شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري مع التصرف في العبارة.

علّق صاحبي على سردي الطويل للآيات والشرح...

- لا أعلم لِمَ يُتْعِبُ الناس أنفسهم في قضية أراحهم الله فيها... أمرنا الله أن نؤمن بما ذكر من صفاته سبحانه... فلماذا يقول أحدنا (إن الله لا يأتي) والله يقول... ﴿يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ الآية... ولماذا يقول أحد (إن الله لا يجيء)... والله سبحانه يقول: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.. أهو أعلم بالله سبحانه من الله عز وجل؟!

دخل المسجد (بوعبدالعزيز) وهو أحد رواد المسجد يأتي للصلاة قبل الأذان بربع ساعة معظم الأحيان... قررنا أن ننهي حديثنا حتى لا نشوش عليه.

- من أعظم نعم الله على العبد أن يوفقه ليسير على منهج رسول الله ﷺ وصحابته في إثبات صفات الله... فلا يسأل أسئلة لم يسألها الصحابة ولا يكلف نفسه فلسفة الفلاسفة ولا تأويل أهل الكلام... ولكن يقول كما قال أئمة أهل العلم..

(مِنَ الله الرسالة... وعلى الرسول البلاغ... وعلينا التسليم) وكذلك (كل ما وصف الله تعالى به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل)... والحمد لله رب العالمين.

ربنا سريع الحساب

- كثير منا يقرأ القرآن عندما يكون في المسجد بانتظار الصلاة وربما يجلس بعد الصلاة يقرأ شيئاً من كتاب الله... وبعضنا يحرص على ختم القرآن مرة في الشهر أو أقل أو أكثر... ولكن قليل منا من يتدبر آيات الكتاب المبين... ليفهم المعنى... ويتفاعل مع الآيات... وخاصة الآيات التي تخبرنا عن صفات الله عز وجل فإنها أوْلى الآيات بالتدبر...

- صدقت يا (أبا سالم)... كثير منا يحرص على (الختمة) أكثر من حرصه على التدبر... هل لك أن تعطينا أمثلة على آيات فيها ذكر لصفات من صفات الله عز وجل...

كنا أربعة نفر... في «ديوان» المسجد ننتظر صلاة العشاء...

- مثلاً عندما نقرأ... ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾... أو ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾.. أو ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾.. أو ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾.. أو ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾... كل هذه آيات فيها ذكر لصفات من صفات الله عز وجل... ينبغي أن نتدبرها... ونعرف معناها... لنؤمن بها إيماناً صحيحاً كما يحب ربنا ويرضى...

أخذ (بوفهد) نفساً عميقاً..

- نعم... نحن مقصرون في التدبر... نسأل الله المغفرة والإعانة...

لنتحدث عن هذه الصفات... طالما لدينا وقت إلى أذان العشاء...

مثلاً قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾.

(رفيع) من الرفعة والعظمة والعلو... أي عظيم الصفات... صاحب العرش... الذي خلق العرش وهومن أعظم المخلوقات... كما وصفه الرسول ﷺ... بأن السماوات والأرض في الكرسي كحلقة في فلاة... والكرسي في العرش كحلقة في فلاة... وإذا ذُكر العرش لا بد أن يذكر استواء الرحمن عليه سبحانه وتعالى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾... والاستواء من صفات الله عز وجل... استوى سبحانه على العرش استواء يليق بجلاله لا يشبه استواء المخلوقين دون أن نعلم الكيف ونؤمن بذلك ونثبته دون شك لأنه ورد في كتاب الله العزيز...

- وماذا عن (ذي المعارج)؟

- نعم وصف الله نفسه في سورة المعارج بقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ (المعارج).

(ذو المعارج)... ذو الدرجات العليا.. ذو الفضل والعلو... ومن هذه الصفة نثبت صفة (العلو) لله عز وجل... علو المكان وعلو المكانة... فهو مستوٍ على عرشه فوق سبع سماوات...

- إن العرب الذين أنزل القرآن بلسانهم لا يعرفون (العروج) إلا إلى العلو... وقال مجاهد: معارج السماء وقال قتادة: ذو الفواضل والنعم... وهي مصاعد الملائكة إلى السماوات... والأدلة في (علو الله) عز وجل كثيرة ليس هنا مجال ذكرها... ولكن نقول إن من صفات الله عز وجل أنه

(ذو المعارج) ونفهم المعنى ونؤمن بهذه الصفة ونثبتها لله عز وجل تحت قاعدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ سبحانه وتعالى...

- وماذا عن ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾؟

- (الحساب)... هو محاسبة الله لخلقه يوم القيامة...

وإذا علمنا أن الحساب سيكون لجميع الخلق من الإنس والجن... منذ أنزل الله آدم إلى الأرض وإلى أن تقوم الساعة... لا شك أن العدد كبير جداً لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى... فالجميع سيحاسب... جاء في التفسير... يُحَاسِبُ الخلائق جميعاً كما يُحَاسِبُ نفساً واحدة... وأيضاً... يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا... وبِغَضِّ النظر عن الفترة الزمنية التي تستغرقها عملية الحساب لجميع الخلق... فإنها سريعة... لأن الله (سريع الحساب).. وعندما نصف الله عز وجل بـ(سريع الحساب) فإنها صفة تليق بجلاله سبحانه وتعالى... ولا تشبه سرعة حساب البشر... ولا تقاس بها والفرق بينهما كما الفرق بين الخالق والمخلوق... ومع (سرعة الحساب)... فإن الله (لن يظلم أحداً مثقال ذرة)... وسَيُدني العبدَ المؤمن لما في الحديث... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**» (صحيح الجامع)... وكم واحد من المؤمنين سيفعل بهم ذلك؟!!!... عدد لا يعلمه إلا الله... ولا يشغل أحدٌ اللهَ عن أحد... فهو سبحانه عز وجل... (سريع الحساب)...

– وهل من صفاته سبحانه أنه (سريع العقاب)؟

استدرك (بوفهد) على (أبي سالم)...

– تقصد (شديد العقاب)؟

– كلا أقصد (سريع العقاب)؟

تدخلت لأبيّن الأمر...

– نعم من صفات الله أنه (سريع العقاب)... وأنه (شديد العقاب)... فهو سبحانه (سريع الحساب)... و(سريع العقاب)...

وصفة (سريع العقاب) وذلك يوم الحساب والعقاب لمن يستحقه وهو سبحانه (سريع العقاب)... لايتردد ولا يتريث ولا يعجز ولا يخشى شيئاً أن ينزل أشد العقاب فيمن يستحقه كما قال سبحانه وتعالى:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ (الحاقة).

وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ (الطور). أي يدفعون إليها دفعاً عنيفاً شديداً..

وأما صفته سبحانه أنه (شديد العقاب) فلا يخفى... فإنه لا عذاب كعذاب الله.... ولا عقاب كعقاب الله... ولكنه للكافر المشرك بالله عز وجل... وهذا فيه تحذير شديد من أن يقع العبد فيما يجلب له عقاب الله... وهنا ينبغي أن نذكر أن (الغفور الرحيم) إسمان من أسماء الله الحسنى...

وأسماؤه سبحانه صفات دائمة له... فهو دائماً (الغفور الرحيم)... أما (شديد العقاب).. و(سريع العقاب) فهما صفتان له سبحانه وتعالى... وذلك فقط يوم القيامة وفقط لمن يستحق... واقرأ قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ (المائدة)... فاجتنبوا عقابه وادخلوا في مغفرته ورحمته...

رؤية الله عزوجل

بعد أداء صلاة المغرب جماعة... بدأ الطقس يميل للبرودة وكنا على ارتفاع ألف متر عن سطح البحر... عرض علينا حارس البناية (الناطور) أن يعد القهوة... وهي عادة لبنانية سورية... (الدعوة على فنجان قهوة في كل وقت)... قبلنا دعوته وأخذنا مجالسنا على الكراسي التي أحاطت بالطاولة البلاستيكية...

- لنتابع حديثنا عن رؤية الله عز وجل...

- شرحت للحاضرين ما كنا نتحدث عنه أنا وصاحبي... ثم تابع صاحبي حديثه...

- أما رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة فقد جاءت به الأدلة في القرآن والسنة... فلا ينبغي لأحد أن ينكرها... طلب منا مصطفى (أبو زياد)... ألا نبدأ الدرس حتى يحضر القهوة كي لا يفوته شيء... وبالفعل انتظرناه... وفي أقل من عشر دقائق أحضر القهوة... وشاركنا المجلس وبدأ صاحبي حديثه...

قال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ (القيامة).

وقال النبي ﷺ: «**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته**» (متفق عليه)، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير. يرونه جل وعز بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف.

وقال النبي ﷺ: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب**» (البخاري).

وسأله بعض الصحابة: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك» وفي لفظ: قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما» (متفق عليه).

هذه الأحاديث قال عنها الإمام أحمد: «نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف».

والمقصود بقوله: «بأبصارهم» بيان أنها رؤية حقيقية، وليست رؤية قلب، أو رؤية فؤاد، ولا رؤية تعقل وتفكر، وإنما هي رؤية عيانية بصرية، فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة، ويرون ربهم أيضاً في الجنة، نسأل الله العظيم الكريم من فضله.

قال ابن القيم في كتاب حادي الأرواح: «دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث... على أن الله سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يُرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما ترى الشمس في الظهيرة».

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته: «وأجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله يُرى في الآخر كما جاء في كتابه وصح به النقل عن رسوله ﷺ».

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: «وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى»، والنظر إلى الله تعالى في الجنة هو النعيم الذي لا نعيم فوقه وهو اللذة الكبرى.

علّقتُ على كلام صاحبي...

- لا أظن أن أصحابنا في هذا المجلس يهمهم معرفة المصادر يكفي أن نذكر لهم ملخص الموضوع وزبدة الأمر...

اعترض بأدب - أبو خالد (الناطور الثاني).

- كلا... هذا التفصيل جميل لنكمل على ذات المنهج...

تابع صاحبي حديثه...

وقد جاء في دعاء النبي ﷺ الثابت في سنن النسائي وغيره من حديث عمار بن ياسر: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة».

وروى صهيب بن سنان الرومي عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً لم تروه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه. قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ثم تلا: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** (رواه مسلم).

وقال أحمد بن حنبل: من قال: إن الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر. هذا حكم المنكر من حيث الإطلاق، لأنه أنكر أمراً تضافرت عليه الأدلة، وتكاثرت فيه النصوص، وأجمع عليه سلف الأمة، لكن إن أُتي بمعيَّن ينكر الرؤية ابتداء لا يُكفَّر، بل تزال عنه الشبهة، خاصة وأن رؤوس أهل البدع شبَّهوا على الناس وكتبوا كتباً وأتوا بتلبيسات كثيرة.

وأما النعيم الأعظم الذي لا يُضاهى والشرف الذي لا يبارى فهو رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى، فلطالما عبدوه في الدنيا ولم يروه، فيتجلى لهم الله يوم القيامة منّة وتفضلاً وإحساناً ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ (القيامة).

- والإيمان بهذه القضية أعني رؤية أهل الجنة لله يوم القيامة... وأنها أعظم نعمة يتنعم بها المؤمنون تدفع المؤمن أن يُقبل على دراسة أسماء الله وصفاته... ويزداد شوقاً للقاء الله... والنظر إليه سبحانه... فهو من أعظم أسباب العمل في طاعة الله... ولذلك قال بعض أهل العلم أنه من أنكر رؤية الله يوم القيامة حُرِمَها... ونقل عن ابن المبارك أنه قال: نحن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نقدر أن نحكي كلام الجهمية (طائفة تنكر رؤية الله يوم القيامة)... ولا يحتاج العبد أن يدخل في نقاش فلسفي للإيمان بهذه القضية فقد جاء بها الرسول ﷺ لأعراب لا يقرأون ولا يكتبون... يسألونه (هل نرى ربنا؟) فأجابهم بالإثبات والتأكيد... بأنهم سيروه كما يرون البدر في ليلة صافية لا سحاب فيها... فأين الصعوبة في هذه القضية؟ ولِمَ التعقيد والفلسفة التي لا طائل من ورائها... وهكذا جميع مسائل الاعتقاد... أدخل عليها الفلاسفة وعلماء الكلام

قضايا... حتى ظن الناس أنها أمور صعبة معقدة لا يمكن أن يفهمها إلا أهل الاختصاص...

علّق مصطفى (أبو زياد)...

- هذه أول مرة أسمع فيها هذا الكلام... وبالفعل كنا دائماً نسمع أن قضايا العقيدة صعبة ... وتحتاج إلى دراسة... واختصاص... ولو كنت سألتني قبل مجلسنا هذا... (هل نرى ربنا؟) لكانت إجابتي (لا أدري)... بصراحة... أشعر أنني مقصر تجاه إيماني بربي.. رغم حرصي على الصلاة والصيام... الواجب والنافلة... ولكنني لا أعلم شيئاً عن صفات الله... ومعاني الآيات التي فيها ذكر صفات الله.. فقد تربينا على عدم الخوض في هذه الآيات... وعدم السؤال عن معانيها... حتى أن أحدنا يخاف أن يعتقد شيئاً في الله... فيكون مخطئاً... لذلك نفضل دائماً أن نقول... (لا أدري)... على كل سؤال يتعلق بصفات الله عز وجل.

- هذا للأسف حال عامة المسلمين... أخافوهم من معرفة صفات الله سبحانه وأسماءه... وجعلوها لأهل الاختصاص فقط مع أنها أهم ما يمكن أن يتقرب به العبد لربه... فيحب الله... ويشتاق إلى لقائه... ويخافه ويرجو رحمته ويخشى عذابه... والقرآن أنزل على أناس بسطاء فآمنوا بما جاء به... ولم يكن منهم من درس الفلسفة أو تخصص بعلم الكلام... نسأل الله أن يوفق المسلمين لما يحب ويرضى.

الدعاء بصفات الله عز وجل

من آيات الله الكونية... الواضحة للعيان.. تقلب الليل والنهار.. وطول أحدهما مع قصر الآخر... وتقلب الأحوال الجوية... من برد.. وحر.. ورياح.. وأمطار.. وجفاف.. وصقيع... الكون كله في حركة دائمة.. دقيقة متقنة.. بأمر (الخلاق العليم)... سبحانه وتعالى...

- هل من أسماء الله الحسنى (الخالق) أم (الخلاق)؟

- كلاهما من الأسماء الحسنى.. وكلاهما ورد في كتاب الله عز وجل.

يقول عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (الأنعام).

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ (الرعد).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ (فاطر).

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ (الزمر).

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (غافر).

وورد اسم الله (الخلاق) في قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ (الحجر).

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ (يس).

ولو تدبرنا هذه الآيات لعرفنا متى يرد (الخالق) ومتى يرد (الخلاّق)..

كنت وصاحبي (بو عبد الله) في جلسة صباحية... على كرسي قبالة البحر... في جو الشتاء الدافئ... نحتسي قهوة طازجة... أعدها هو بنفسه باستخدام جهاز جديد اقتناه منذ فترة بسيطة... و(بوعبدالله) من الأشخاص الذين يهتمون كثيراً بطريقة إعداد القهوة ومن المستحيل أن يشرب القهوة سريعة الذوبان التي أشربها كل يوم!!!.

- (الخلاق) على وزن فعَّال... وورد مقترناً بـ(العليم).. ومع ذكر خلق السماوات والأرض... وذلك لبيان عظم هذه المخلوقات وأنها من أعظم ماخلق الله... وهي أعظم مِنْ خلق الإنسان كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (غافر).. أما (الخالق)... فورد في عموم خلق الله... أنه سبحانه (يخلق ما يشاء).. و(خالق كل شيء).. وخلقه سبحانه بكلمة (كن).. والله أعلم.

- ومن صفات الله سبحانه أنه أتقن كل شيء... ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا

جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل)، فنقول: (سبحان الذي أتقن كل شيء)... وليس من أسمائه (المتقن).. وفي الآية أن الجبال (صنع الله).. فنقول سبحان من صَنَعَ الجبال.. وليس من أسمائه (الصانع).. وهكذا ينبغي أن نتدبر هذه الآيات التي ترد فيها صفات الله عز وجل.. ونعرف الصفات العلى.. والأسماء الحسنى..

- ولكن الأسماء والصفات كلها يجوز أن ندعوا الله بها.. ونحلف بها.

- بالطبع ... يجوز الحلف بأسماء الله وصفاته جميعاً... والدعاء بأسماء الله وصفاته جميعاً... وربما.. يدعو الإنسان بألفاظه هو... مثلاً.. يدعو.. (يا من ينصر المظلومين).. و(يا من يقصم الظالمين).. و(يا من يرزق خلقه بغير حساب).. و(يا من يجيب المضطر إذا دعاه).. ويا (من يكشف السوء عمن رجاه)... وهكذا يستطيع العبد أن يدعو بما شاء من صفات الله عز وجل بما يناسب حاله ويلبي حاجته... وفي الحديث... «اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم» (صححه الألباني)... ولكن ينبغي أن ينتبه المرء ألا (يؤلف) صفات لله من عنده.. وأن ينزه الله عز وجل عن سفاسف وتوافه ومستقذرات الأمور... وإن كانت حقاً... مثلاً... لا يقول... (يا من خلق الخنزير).. و(يا من أوجد القذر) تعالى الله سبحانه جل وعز.. أن يقرن بما قَذُرَ وقَبُحَ..

- سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

- دعني أذكر بعض ما يمكن أن يدعو به الإنسان مما ورد ذكره في كتاب الله مثلاً.. يدعو فيقول: «يا من أغرق فرعون في اليم وخسف

بقارون الأرض».. و«يا من أنجى موسى من الغرق»... و«يا من رزق زكريا الذرية على كبر».

قاطعته..

– نعم يجوز أن يدعو بكل ما ورد في كتاب الله... ولكن الأولى أن يلزم المسلم (جوامع الكلم) في دعائه.. ولا حاجة إلى تفصيل التفصيل... وإن كان حقاً... والرسول ﷺ علمناجوامع الدعاء... ففي طلب المغفرة (رب اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)... (رب ظلمت نفسي وإن لم تغفر لي وترحمني لأكونن من الخاسرين).. (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه)... (اللهم أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) وفي طلب الجنة.. (اللهم إني أسألك الجنة) سبع مرات في اليوم.. وفي الاستعاذة من النار (اللهم أجرني من النار) سبع مرات في اليوم.. وهكذا يعوّد المرء نفسه أن يدعو الله.. بهذه الصيغ الجامعة فإنها أبلغ وأقرب إلى الإجابة من التفصيل وتفصيل التفصيل الذي يكرره بعض ا لأئمة وخاصة في دعاء القنوت في رمضان.

الفهرس

الموضوع	ص
قواعد في الأسماء والصفات	٩
قواعد في الأسماء والصفات (٢)	١٣
قواعد في الأسماء والصفات (٣)	١٧
الفرق بين الأسماء والصفات	٢٢
الفرق بين الأسماء والصفات (٢)	٢٧
الفرق بين الأسماء والصفات (٣)	٣١
أين الله؟	٣٦
الرحمن على العرش استوى	٤١
عرش الرحمن	٤٥
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة	٤٩
تجليِّ ربنا للجبل	٥٤
ربنا يحب المؤمنين	٥٨
ربنا يرضى ويسخط	٦٤
ربنا لا يحب الكافرين	٦٩
قد يغضب ربنا	٧٤
من لعنه الله	٨٠
صفات الله كلها جلال وكمال	٨٥
نفي صفات النقص عن الله عز وجل	٩١

(المكر والكيد) صفات مقيدة لله عز وجل	٩٥
لا أصبَرَ على الأذى من ربنا	٩٩
الله نور السماوات والأرض	١٠٣
مشيئة الله عز وجل	١٠٧
مشيئة الله عز وجل (٢)	١١٥
يهدي من يشاء سبحانه	١١٥
القول في جميع الصفات واحد	١١٩
يتكلم ربنا بما شاء متى شاء	١٢٤
ربنا يكلم الملائكة	١٢٨
ربنا يسمع كل شيء	١٣٣
يستمع ربنا لحسن الصوت يقرأ القرآن	١٣٩
ربنا له وجه سبحانه وتعالى	١٤٤
ربنا له يدان سبحانه وتعالى	١٥٩
ربنا له أصابع سبحانه وتعالى	١٥٥
ربنا يضحك ويعجب سبحانه وتعالى	١٥٩
معية الله سبحانه وتعالى	١٦٥
ربنا أحسن الخالقين	١٧٠
ألفاظ يوصف بها الله سبحانه وتعالى	١٧٥
يجيء ربنا يوم القيامة لحساب الخلق	١٧٩
رؤية الله عز وجل	١٨٩
الدعاء بصفات الله عز وجل	١٩٤